شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الثامن والسبعون، السنة السابعة ، ذو القعدة ١٤٣٧ - آب ٢٠١٦

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - المغرب: ٣٠ درهم

الجزائر: ٢٥ دينار - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار - الإمارات: ١٥ درهم

البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

78

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — ﴿.. سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ..... الشيخ حسين كوراني 6

تحقيق — مدينة "لكهنو" الهندية ..... إعداد: "شعائر" 8

مراقبات — أعمال شهر ذي القعدة الحرام ..... إعداد: "شعائر" 13

أحسن الحديث — موجز في تفسير سورة "المرسلات" ..... إعداد: سليمان بيضون 16

حيّة الإسلام "السلام" ..... العلّامة السيّد الطباطبائي رحمه الله 18

أيام الله — مناسبات شهر ذي القعدة ..... إعداد: "شعائر" 21

وقال الرسول — موت القلب، وحياته ..... إعداد: "شعائر" 24

حدود الله — من مختصّات سفر الحج ..... آية الله السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره 25

يزكّيهم — لا تغترّ ولا تأمن، ما دمتَ حيّاً ..... الشّيخ بهجت قدس سره 26

الملف — **الإمام محمّد بن علي الجواد**
تاسعُ الأسباط الاثنَي عشر عليهم السلام 27

استهلال 28

مختصر من سيرة الإمام الجواد عليه السلام ..... إعداد وتنسيق: "هيئة التحرير" 29

حكمةُ المعصوم ..... الإمام الخامنئي دام ظلّه 33

من كرامات الإمام الجواد عليه السلام ..... إعداد: خليل سرور 37

شبيه الأنبياء ..... الشيخ حسين كوراني 40

لولا دعاؤكم — دعواتٌ موجزة لقضاء الحوائج ..... قطب الدين الراوندي رحمه الله 43

صاحب الأمر — الإمامة المبكِرة للمهديّ المنتظَر عجل الله فرجه الشريف ..... الشهيد الصدر قدس سره 44

تحقيق

مدينة "لكهنو" الهندية

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	أدب حضور القلب في الصلاة	الإمام الخميني قدس سره	46
يذكرون	من أذكار الصباح والمساء	الفيض الكاشاني رحمه الله	47
حوارات	حول التوحيد، والتوسُّل بالأولياء الصالحين	إعداد: فاضل محمّد	48
فكر ونظر	التطرّف اليوم.. أمويّ لا خارجيّ	الشيخ حسن فرحان المالكي	52
	من أسرار الحج	العلّامة الشيخ جعفر السبحاني	54
أعلام	صَعصَعة بن صُوحان العبديّ	إعداد: سليمان بيضون	57
كلمة سواء	أدب الجدال في القرآن الكريم	السيد علي الحسيني الميلاني	61
وصايا	الانتصار على هوى النفس	إعداد: "شعائر"	62
	دواؤك فيكَ وما تشعُر	العلّامة علي أصغر كرباسجيان	63
مرابطة	أوجه الشبه بين الكيانين الصهيوني والوهّابي	إعداد: "شعائر"	64
وثائق	رسالة فيصل سعود إلى الرئيس الأميركي جونسون	إعداد: "شعائر"	66
دوائر ثقافية			67
موقف	الزهّاد هم الطريق إلى الله	الشيخ محمد قاسم المصري العاملي	68
فرائد	الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بعشر حسنات	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	"كشف الرّيبة عن أحكام الغِيبة" للشهيد الثاني	قراءة: محمود إبراهيم	70
مصطلحات	الشُّح	المحقّق الشيخ حسن المصطفوي	73
بصائر	الفقر شعار الصالحين	الفقيه ابن فهد الحلّي	74
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	76
إصدارات	عربية / أجنبية / دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	نُودي فيكم بالرحيل	الإمام الخميني قدس سره	82

﴿.. سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

يتلخّصُ المشهدُ السياسيّ الراهن في منطقتنا، بمعاودة الكَرّةِ في تقسيم المقسَّم، وإعادة تركيبه «كما يَحلو للشيطان» الأميركيّ الذي يظنّ أنه ما يزال «القُطب الأوحد».

بعد الزلزال الخمينيّ، وتداعياته، وأبرزها حرب تمّوز وحَربا غزّة، قلّب الأميركيُّ تَركَة «سايكس - بيكو». وَرِثَها واستثمرَها. تقاذفها تَقاذُفَ الكُرة. حوّلها عبر «الاستعمار الجديد» لُقمةً سائغة. تأمّلَ في مناخات تَكوُّنها. أبرزُ المكوّنات مشروعان. الوطن القوميّ اليهوديّ. والوطن القوميّ السعوديّ - الوهّابيّ. ولا سواء. المشروعان - بالتدبّر - واحدٌ بوجهَين. الغدّة السرطانيّة بوجهَيها الصهيونيّ المُعلَن، والصهيو - سعوديّ - أو الصهيو - ديّ - المُضمَر.

كانت مرحلة «سايكس - بيكو» وما قبله - وهو ذاته ما قبل ثَني الوسادة للهيمنة الأميركيّة - قضتْ بثُنائيّة الوجهَين المُضمَر والمُعلَن للمشروع الصهيو - ديّ. لكنّ مرحلة «**ما بعدَ، ما بعدَ حيفا**» تُحتّم طيّ المراحل في إعلان المُضمَر، حفظاً للمُعلَن وإن أدّى إلى احتراق المضمَر.

***

في هذا السياق، أطلقت أميركا «إدارة التوحّش» السعوديّ - الوهّابيّ. أنّى كانت ساحة المعارك المتوحّشة. في اليمن، أو العراق، أو الشام، أو تخوم لبنان، أو غيرها. إنقاذ المشروع الصهيونيّ - حجرِ «سنمّار» الغرب في الشرق - هو الهاجس. احتواءُ مفاعيل حرب تمّوز، هو الهدف.

مبكّراً جداً، كان تطمين «**الشيخ القرضاوي**» لأميركا. «إسرائيل ليست هدفنا بعد سوريا. مَن قال لكم ذلك؟».

تزامن ذلك مع فتح بوّابة الجولان المحتلّ بين الدواعش والكيان الصهيونيّ.

لم تأتِ محاولات «**تركي الفيصل**» أو «**أنور عشقي**» من فراغ. تتسارع وتيرة كشف التحالف **الصهيو - ديّ**، - بل التماهي - بالتناسب مع الوقائع الميدانيّة. كلّما اشتدّت حلقةُ الحصار على الوجه المُعلَن من «الغدّة السرطانيّة»، تعالى صراخُ الوجه الذي كان مضمَراً، وتبدّى.

***

وفي الحديث عن «فقْه» هذه المجريات وفلسفتها، تجليّاتُ عظيم صُنْعِ الله تعالى، في ثلاثٍ من السُّنَن الكونيّة:

١- الاستدراج:

* ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الأعراف:١٨٢-١٨٣.

* ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ القلم:٤٤-٤٥.

٢- الهزيمة:

* ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال:٣٤-٣٦.

٣- الفضيحة:

* ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأنفال:٣٧.

تريد أميركا.. ويريدُ الله. هذا أوانُ الفَرْز النهائيّ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ..﴾.

***

تَقصُر المدّة أو تطول؟ يتوقّف ذلك على تنامي إدراكِ حقيقة آل سعود، والوهّابيّين عموماً: دورهم، والمهمّة. آل سعود ليسوا «سُنّة». آل سعود أمويّون «بُغاة» تسلّلوا إلى زعامة الأمّة والمنطقة، كما تسلّل «معاوية» فأسّس أمبراطوريّة «الألف شهر».

«تحالفَ الشيخ محمّد عبد الوهّاب سنة ١١٥٧ هجريّة = ١٧٤٤م مع الأمير محمّد بن سعود على أن يكون الأمير صاحبَ السيف ".." وأن يستمرّ الشيخ في الجَهر بدعوته».

توفّي «**محمّد بن سعود**» عام ١١٧٩ هجريّة = ١٧٦٦م. تولّى الحكم بعده ولدُه «**عبد العزيز**». دامت سلطته (٣٩ عاماً). أثناء سِنيّ سلطته توفّي «**محمّد بن عبد الوهّاب**» عام ١٢٠٦ هجريّة. خَلَفَه ابنُه الشيخ عبدالله.

***

من الغارات – الداعشيّة – الأمويّة، السعوديّة – الوهّابيّة – التي شُنَّت خلال تسلّط عبد العزيز بن محمّد آل سعود، وبمساندة عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب:

«تمّ احتلال الإحساء سنة ١٢٠٧ هجريّة = ١٧٩٢م، وهُدمت المشاهد والقِباب، كما تكرّرت الإغارة على "قَطَر"، وعلى بني عتبة "العتوب" في السنة التالية ١٢٠٨هجريّة = ١٧٩٣م، وعلى الكويت في الأعوام ١٢١٣ هجريّة = ١٧٨٩م، و١٢٢٣هجريّة = ١٨٠٨م، وطالتْ جميع الأطراف الشرقيّة للجزيرة. أمّا في عام ١٢٠٩ فقد [تجدّد] الهجوم على "قَطر" وإحلال السلب والنهب في البلد، كما تمّ الهجوم على جزيرة "العماير" سنة ١٢١١ هجريّة = ١٧٦٩م».

(مقدّمة كتاب منهج الرشاد لمَن أراد السداد للإمام كاشف الغطاء. تحقيق د. جودت القزوينيّ).

***

عمر «**داعشيّة**» آل سعود وإدارة توحّشهم، يربو – إذاً – على قرنَين ونصف من الزمن! أكثر ضحاياه من «أهل السُّنّة والجماعة». يدّعي آل سعود زوراً أنّهم يمثّلونهم، ويرتكبون المجازر بحقّنا نحن «الشيعة» دفاعاً عن «السُّنّة»!!

هل تتمكّن «أميركا» من إعادة تركيب المنطقة على عصب «داعشيّة آل سعود»؟

أم أنّ «الاستدراج» الإلهيّ، سيرفدُ وعيَ الأمّة والعالمين؟

تَمسُّ الحاجةُ إلى حُسن الإصغاء لخطاب الإمام الخامنئيّ. يُواصِلُ توكيدَ الثوابت الخمينيّة حرفاً بحَرف، ونفَساً بنفَس.

لا يكادُ ينقضي العجبُ كيف لم تُصْغِ الأمّةُ والأجيالُ إلى خطاب الإمام الخمينيّ في جميع مراحل نهضته، محذّراً من مركزيّة خطر آل سعود والوهّابيّين.

***

بعضُ الهدير الخمينيّ، الذي صُمّت عن سماعه أكثرُ الآذان – وما تزال:

* «ألا يَرى المسلمون أنّ مراكز الوهّابيّة في العالم تحوّلت إلى مراكز فتنة وجاسوسيّة وهي تُروّج لإسلام «الأعيان»!، إسلام أبي سفيان، إسلام الملالي القَذِرين، إسلام أدعياء القداسة عديمي الشعور في الحوزات العلميّة والجامعات، إسلام الذُّلّ والنكبة، إسلام المال والقوّة، إسلام الخداع والمساومة والاستعباد، إسلام حاكميّة الرأسمال والرأسماليّين على المظلومين والحُفاة، وبكلمة: الإسلام الأمريكيّ!

ومن جهة أخرى تسجدُ على أعتاب سيّدتها أمريكا آكِلَةِ العالم! لا يعرف المسلمون إلى مَن يشكون هذا الألم».

* «الأيدي الملوّثة التي تزرعُ الشِّقاق بين الشيعة والسنّة في هذه الدول، لا شيعيّة هي ولا سنّيّة».

* «.. يُخطّط (المستعمرون) منذ قرون لتحطيم هذا السدّ (الإسلام) بحِيَل مختلفة «..» وتارةً عن طريق إيجاد المذاهب الباطلة وترويج البابيّة والبهائيّة والوهّابيّة».

* «الوهّابيّة مذهبٌ ملؤه الخرافات، يسوقُ الشعوبَ الغافلة إلى (أحضان) القوى العظمى عبر استغلال الإسلام العزيز والقرآن الكريم».

نجف الهند

مدينة لكهنو الهنديّة منارة حضارية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام

المجمّع الكبير في مدينة لكهنو الهندية، ويبدو في الصورة (مسجد آصفي)، وحسينية (إمام بارا)

إعداد: «شعائر»

لا تُعدّ مدينة لكهنو (lucknow) الهنديّة مقصداً سياحيّاً فحسب، بل هي مركزٌ حضاريّ ودينيّ حافظت على أصالتها وعراقتها منذ دخل الإسلام إليها، واتّبع سلاطينها في مرحلة من مراحل الحكم الإسلاميّ فيها مذهبَ أهل البيت عليهم السّلام، وقاوموا الاحتلال البريطانيّ حتّى نُفوا أو قتلوا أو شُرّدوا.

يحلو للكثيرين، اليوم، تلقيبها بـ «نجف الهند» نظراً إلى المعاهد الدينيّة ونشاط علمائها في نشر الإسلام وتبيان مذهب أهل البيت عليهم السّلام.

تقع مدينة «لكهنو» أو «لكهنؤ» باللهجة المحليّة، أو «لُكناو lucknow» في شمال وسط الهند، على نهر «غوماتي Gomati»، في وسط سهل الغانج الخصيب. وهي عاصمة ولاية «أوتار برادش Uttar Pradesh». وهي ثاني أكبر مدينة في الولاية بعد «كانبور Kanpur». مساحتها ٢٥٢٨ كيلومتر مربّع، وترتبط بأنحاء البلاد الأخرى من خلال طُرق بريّة، وسِكك حديديّة، ومطار جويّ دوليّ اسمه «مطار شودري شاران سينغ Chaudhary Charan Singh».

و تقع هذه المدينة في منطقة تاريخيّة كانت تعرَف في السّابق باسم «أَوَدَه Awadh»، وهي اليوم مدينة متعدّدة الثقافات.

يبلغ عدد سكّانها نحو ثلاثة ملايين نسمة، واللغة الرّسميّة فيها - كسائر مدن البلاد - هي الهنديّة، ويتحدّث معظم سكّان المدينة باللّغة الأرديّة، وتعدّ مركزاً للأدب الهنديّ والأُردو أيضاً؛ وهي مركز سياحيّ مهمّ، تُوليها السلطات الهنديّة عناية كبيرة على مستوى الأمن والخدمات لاستقطاب السائحين والزّائرين.

تُلقّب لكهنو بمدينة النوّاب – أي الحكّام – نسبةً إلى النّوّاب المسلمين الذين حكموا الهند – وتحديداً منطقة أَوَدَه – في القرنَين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديَين، كما يحلو للكثيرين، اليوم، تلقيبها بـ «نجف الهند» نظراً إلى كثرة المساجد والحسينيّات والمعاهد الدينيّة، ونشاط علمائها في نشر الإسلام وتبيان مذهب أهل البيت عليهم السّلام.

و«نوّاب أوَدَه» اسم يطلق على مجموعة من الحكّام الذين حكموا

إحدى ساحات لكهنو

«دولة أوده» في الهند في الفترة ١٧٢٢-١٨٥٨م. وكان هؤلاء شيعة إمامية اثني عشرية من أصول فارسيّة. وقد جسّدت أسرة ملوك «أَوَده» استمراراً للتاريخ الشيعيّ، وظلّت رامبور (في شمال الهند) التي أعقبت لكهنو مركزاً لحكومة شيعيّة محليّة في الهند إلى عصرٍ قريب.

وفي عصر هؤلاء الملوك استطاع عالم شيعيّ جليل، هو السيد دِلْدار عليّ النّقوي (توفّي ١٢٣٥ للهجرة/ ١٨٢٠م) ويُعرف باسم «غفران مآب» أن ينشر المذهب الشيعيّ في الهند، وكان له دور كبير في نشر التشيّع في شمال البلاد، ونشاطات مهمّة في منابذة التصوّف المتأثّر بالطقوس والثقافة الهنديّة هناك. وعليه باتت مدينة لكهنو تشكّل العمق الروحيّ والعلميّ للشّيعة في الهند.

وفي (مستدركات أعيان الشيعة) تحدّث السيد حسن الأمين عن ازدهار التشيُّع في الهند في عصر آصف الدولة، رابع حكّام هذه السلالة، ووصف فيها النّقويّ بأنّه أوّل مجتهد شيعيّ، فقال ما نصّه: «وفي عهد آصف الدولة زخرت لكهنو بالعلماء والشعراء والكتّاب والمفكّرين، وامتلأت بالمدارس والمكتبات لا سيّما التي تضمّ أُمّهات الكتب الشيعيّة، وبرز فيها أوّل مجتهد هنديّ شيعيّ هو السيّد دلدار عليّ».

المساجد والحسينيّات في لكهنو

تزخر لكهنو بالعديد من المساجد والحسينيّات، وإلى جانب وظائفها الدينيّة والاجتماعيّة التي تؤدّيها في الاهتمام بالمسلمين الهنود، فإنّها غدت من المعالم السياحيّة التي يحرص السّائحون على زيارتها والتقاط صورها.

* **«مجمّع إمام بارا»:** يضمّ هذا المجمع حسينيّة «إمام بارا» – أي

واجهة حسينية (إمام بارا)، وتُعدّ الأكبر في العالم

الإمام الكبير – وهي أكبر حسينيّة في العالم، شيّدها نوّاب آصف الدولة (وهو أحد حكّام أَوَده) عام ١٧٨٤م، وتعرف أيضاً بـ«حسينيّة آصفي».

ويضمّ المجمع مسجداً شهيراً هو «جامع آصفي الكبير»، تمّ الانتهاء من أعمال بنائه سنة ١٧٩٤؛ وتجمع هندسته بين الفنّين الهنديّ والإسلاميّ، مع قباب رائعة في التزيّين ومآذن شاهقة، ولكنّه لا يحفل بالاهتمام اللازم في هذا العصر، إذ يحتاج إلى المحافظة على هيكله الخارجيّ الذي ما فتئت تعبث به أيدي الزائرين بلا رقيب أو حسيب. وفي هذا المجمع مدخلان كبيران يؤدّيان إلى القاعة الرئيسيّة.

وإلى رمزيّته الدينيّة، يُعدّ هذا المجمع بأبنيته المتعدّدة، من أبرز المعالم التاريخية والعمرانية والسياحية في الهند.

استولى البريطانيّون على المجمع بأكمله إبّان الاستعمار البريطانيّ للبلاد، وبنوا قناة للمياه محاذية للجدار الغربيّ للمسجد، ولكنّ هيكل المسجد قويّ البناء فلم يَنْهَر، وبالتالي ذهبت جهودهم سدى في تخريب هذا المعلم المهمّ.

أمّا الحسينيّة، فهي مبنيّة كلّها من الجصّ والطّابوق، وهو مادّة بناء مصنوعة من الطوب المحروق في أفران خاصّة، ثمّ يُصَفّ يدويّاً ويُشدّ بالملاط؛ أي بخَلِيط منَ الكِلْس والرَّمْل أَو مِنَ الإسْمَنْت

والرَّمْل. ولم يستخدم الخشب أو أي معدن في بنائها. وهذا النمط الخاصّ من البناء هو ما يجعلها مذهلة وفريدة من نوعها. والشيء الأكثر إبهاراً في بناء هذه الحسينيّة الضّخمة، هو أنّ سقوف قاعاتها المركزيّة المقوّسة لا تحتوي على أي قطعة من العوارض والدعامات، حتّى قيل إنّ هذه الحسينيّة هي المبنى الوحيد في العالم من دون أي عوارض دعم بالرغم من ضخامة حجمها، حيث يبلغ ارتفاع السقف عن الأرضيّة خمسة عشر متراً. وجدرانها الدّاخليّة الجوفاء هي مَعلم آخر من معالم الإبداع المعماريّ الذي تتميّز به هذه الحسينيّة، فهي لا تساعد على الاحتفاظ بالبرودة في أيّام الصّيف الحارّة في الهند فحسب، بل تساعد على التخفيف من عبء ضخامة البناء. وفي بنائها يمتزج الفنّ الهنديّ بالإسلاميّ في صورة رائعة؛ ويُمكن مشاهدة قبر «نوّاب آصف الدولة» وتاجه المحفوظ في وسط القاعة المركزيّة.

بوّابة (رومي دروازه)، أكبر الأبواب التاريخية إلى المدينة القديمة

تُقام في هذه الحسينيّة مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السّلام في شهرَي محرّم وصفر، كما تتشح مناطق تواجد الشيعة في المدينة بالسواد الشامل، وتتردّد في أرجائها المجالس واللطميات (النوحة باللغة الهنديّة).

وفي هذه الحسنيّة تُقام أيضاً احتفالات دينيّة مثل المولد النبويّ الشّريف، وذكرى ولادات الأئمّة عليهم السلام وشهاداتهم، فعلى سبيل المثال، شهدت الباحة من حسينيّة «إمام بارا» يومَ الثاني عشر من رجب ١٤٣٤ للهجرة، فعّاليات «مهرجان أمير المؤمنين عليه السلام الثقافيّ السنويّ الأوّل»، والذي انعقد بمناسبة ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأقيم تحت شعار «**أمير المؤمنين... وصيّ الرسالة وأمير الأُمّة**»، والذي أقامته وَرَعَتْه «العتبة العبّاسيّة المقدّسة»، واستمرّ لخمسة أيّام.

وشهد حفل الافتتاح حضوراً واسعاً لشخصيّات دينيّة وفكريّة

مدينة لكهنو في أسطُر

«ترسم مآذنُ المدينة وقبابها المطليّة بالذهب صورة خلّابة تُرى من بُعد. ويقع الحيّ التجاريّ القديم في الجزء الشماليّ الغربيّ من المدينة، وتُرى فيه محلات صياغة الفضّة، وأكشاك عرض السلع الأخرى، كالمشغولات المطرّزة، والمشغولات النحاسيّة، والمطبوعات. وتقع الأبنية الضخمة بمكاتبها ومحلّاتها التجاريّة في الجنوب الشرقيّ من المدينة. الصناعات القائمة بها هي ورش السكّك الحديدية، ومصانع القطن، ومصانع السكر.

وقد بنى المسلمون قلعةً في أوائل القرن الثالث عشر الميلاديّ، في المكان الذي تقع فيه لكهنو حاليّاً.

وفي عام ١٥٩٠م، أصبحت المدينة المركز الرئيسيّ لإحدى مقاطعات المغول.

وفي عام ١٧٧٥م تمّ اتخاذها عاصمة لنُوّاب (حكّام) أَوَده المستقلّين. وقد بنى هؤلاء الحكّام قصورًا رائعة ومساجد على طول النهر، امتزج فيها الطراز الإسلاميّ المغوليّ بالطراز الأوروبيّ.

أصبحت منطقة لكهنو جزءًا من الإمبراطوريّة البريطانيّة عام ١٨٥٦م. وإبّان الثورة ضدّ البريطانيّين في عام ١٨٥٧م، ضرب الثوّار الحصار حول حامية لكهنو البريطانيّة لمدّة ١٤٠ يومًا، وقتلوا كثيرًا من البريطانيّين، قبل أن تقوم بإنقاذها بعثة إنجليزيّة عام ١٨٥٨م.

وفي أوائل القرن العشرين احتلت لكهنو مكانة بارزة في السياسة الهنديّة. وقد ركّز البريطانيون جهودهم على المدينة في محاولة لكسب تأييد كبار مُلّاك الأرض والمجموعة المسلمة ضدّ (المؤتمر الوطنيّ الهنديّ). ومنذ حصول الهند على استقلالها عام ١٩٤٧م ازدهرت مدينة لكهنو بسرعة».

(الموسوعة العربيّة العالميّة)

وثقافيّة واجتماعيّة، ومن فضلاء الحوزات العلميّة الهنديّة وطلَبتها، ووكلاء المرجعيّات الدينيّة في العالم الإسلاميّ، إضافة إلى حضور كبير امتلأ به مكان الحفل.

وهذه الحسينيّة أضحت معلماً سياحيّاً يقصده السّائحون والزّائرون من مختلف أنحاء العالم، لروعة بنائها الهندسيّ.

* **«حسينيّة تشوتا إمام بارا»**: تُعرَف أيضاً باسم حسنيّة «إمام حسين»، بناها نائب «أوده» محمّد علي شاه عام ١٨٣٨م. وبعد مماته دُفن فيها، ودُفنت والدته بجواره. ومبنى هذه الحسينيّة يُعرف بـ«قصر الأنوار» بسبب كثرة الزخارف والثّريّات المضيئة، وهي مقصد السّائحين أيضاً.

الحوزات والمعاهد الدينيّة في لكهنو

لمدينة لكهنو فضل كبير في نشر الإسلام الأصيل بين أبنائها الهنود المسلمين، وإبراز مذهب أهل البيت عليهم السلام،

طليعة مسيرة عاشورائية في أحد شوارع لكهنو

وتقوم الحوزات العلميّة والمراكز الدينيّة في المدينة بإرسال الدعاة والعلماء لتثقيف الهنود الموالين لأهل البيت عليهم السلام. وفي لكهنو الكثير من علماء الدين، ويكفي أن تتجوّل في شوارعها لتشاهد الصبغة الدينيّة للمدينة؛ حتّى ليخيل إليك أنّك تمشي في النجف الأشرف أو قمّ المقدّسة.

* **«سلطان مدارس»**: هي من المدارس الدينيّة والعلميّة، أسّسها السيّد محمّد باقر الرضويّ الكشميريّ (المولود سنة ١٢٦٠ للهجرة/ ١٨٤٤م في لكهنو والمتوفّى في كربلاء سنة ١٣١٣ للهجرة/ ١٨٩٥م) وذلك في العام ١٨٩٢م، تحت إشراف مهدي حسن خان، من وجهاء «أوده». وتُعدّ «سلطان مدارس» من المدارس الدّينيّة المهمّة في لكهنو، ويتخرّج منها كلّ عام الكثير من العلماء وطلّاب العلم.

* **«مدرسة الواعظين»**: وهي مدرسة دينيّة جليلة، وحوزة إسلاميّة علميّة فخمة، تُعدّ من حسنات الدّهر؛ أسّسها العلّامة الأوحد السيّد نجم الحسن قدّس سرّه (سنة ١٣٣٨ للهجرة/ ١٩٢٠م). وإلى جانب قاعات الدرس والمرافق الإداريّة، تضمّ هذه المدرسة مكتبةً قيّمة تحتوي على عشرين ألف مجلّد من الكتب الإسلاميّة، باللّغات العربيّة، والفارسيّة، والأرديّة، والإنجليزيّة، وفيها مخطوطات نفيسة، ولها مطبعة خاصّة لطبع ما تنتجه أقلام علمائها وأساتذتها من أبحاث قيّمة ومفيدة.

كما تضمّ هذه المدرسة غُرفاً في جناح خاصّ لسكن الطلبة، وقد تخرّج منها عدد لا يستهان به من العلماء والمبلّغين بشتى اللّغات لا سيّما الأرديّة والإنجليزيّة للتبليغ في الهند وباكستان، وأفريقيا، وشرقي آسيا.

* **«المدرسة النّاظميّة»**: أسّسها السيّد محمّد باقر الرضويّ الكشميريّ، وفوّض أمرها إلى السيّد نجم الحسن. وما تزال

تُحيى المناسبات الدينية في حسينية (إمام بارا) على مدار السنة

عامرة إلى الآن، ويتخرّج منها كلّ عام الكثير من الطلّاب والمبلّغين. وكان السيّد محمّد باقر أسّس في لكهنو (سنة ١٢٨٩ للهجرة/ ١٨٧٢م) المدرسة الإيمانيّة ولكنّها لم تعمر غير بضعة شهور.

* **«المدرسة السلطانيّة»**: أسّسها أيضاً السيّد محمّد باقر الرضويّ الكشميريّ، وهي مدرسة شهيرة جليلة، وفيها مكتبة عامرة خاصّة بها، تضمّ ما ينيف على الخمسة آلاف مجلّد باللّغات العربيّة، والفارسيّة، والأرديّة، وبعض المخطوطات.

المكتبات في لكهنو

في لكهنو العديد من المكتبات المهمّة التي تحفظ في رفوفها نفائس الكتب والمخطوطات، منها:

* **«المكتبة الناصريّة»**: وهي مكتبة عظيمة تضمّ ميراث العالِم الشيعيّ الكبير المير حامد حسين اللكهنوي (توفّي في شهر صفر سنة

١٣٠٦ للهجرة/ الموافق لشهر تشرين الأوّل ١٨٨٨م) صاحب موسوعة (**عَبَقات الأنوار في إمامة الأئمّة الأطهار**)، والمؤلّفات الغزيرة التي تربو على مئتي مجلّد، والذي كان من القيادات الدينيّة العليا للشيعة الاثني عشريّة في لكهنو؛ كما تضمّ ميراث والده المرجع الشيعيّ محمّد قلي الموسويّ (توفّي في محرّم سنة ١٢٦٠ للهجرة/ الموافق لشهر شباط ١٨٤٤م). ثمّ طوّر ناصر حسين، ابنُ المير حامد، هذه المكتبة وعمل على توسعتها وإغنائها بحمل نفائس الكتب إليها، فاشتهرت باسمه فَعُرفت باسم «المكتبة الناصريّة»، وتُعدّ من أكبر المكتبات في لكهنو؛ بل في الهند كلّها، ولها مبنى خاصّ في منطقة راقية وهادئة، وهي تحتوي على نفائس الكتب ونوادرها الخطيّة، من علوم الفقه وأصوله، والتفسير، والحديث، والكلام، والحكمة، والفلسفة، والأخلاق، والتاريخ، واللّغة، والأدب، والمعاجم، والموسوعات الكبيرة.

* **«مكتبة ممتاز العلماء»**: أسسّها العلّامة الجليل السيّد محمّد نقيّ، المعروف بـ «ممتاز العلماء»، (ولد عام ١٢٣٤ للهجرة/ ١٨١٨م، وتوفّي سنة ١٢٨٩ للهجرة عن ٥٥ عاماً) والذي ترك في خزانته مؤلّفات قيّمة ونفيسة، ومخطوطاتٍ وكتباً نادرة، يزيد عددها على ثمانية عشر ألف كتاب باللّغات العربيّة والفارسيّة والأرديّة، فكانت تلك الكتب والمؤلّفات نواة مكتبة «ممتاز العلماء»، وقد أُنشئت لها بناية حديثة.

* **«مكتبة ندوة العلماء»**: تقع في وسط حدائق غنّاء ضمن بناية كبيرة فخمة لمدارس العلوم التابعة لندوة العلماء. تضمّ أكثر من ستّين ألف مجلّد، منها: خمسة آلاف وخمسمائة مخطوطة، في العلوم الإسلاميّة من تفسير، وفقه، وأصول، وحديث، وحكمة، وفلسفة، وأخلاق، وأدب، وتاريخ، وجغرافيا باللّغات العربيّة، والفارسيّة، والأرديّة، والسانسكريتيّة.

وفي لكهنو عدّة مؤسّسات ومراكز تُعنى بطباعة الكتب الإسلاميّة ونشرها بلغة الأردو.

* **«رومي دَرْوازَة Rumi Darwaza»**: من المعالم الأثريّة التي خلّفها حكّام «أوده»: بوّابة مدخل مدينة لكهنو «رومي دَرْوازَة»، وقد بُنيت زمن آصف الدولة عام ١٧٨٤م، وهي غاية في الجمال والرّوعة، ومثالٌ للعمارة الأرديّة.

من هم «نوّاب أَوَدَه»؟

«نوّاب أوده» اسم يُطلق على مجموعة من الحكّام الذين حكموا «دولة أوده» في الهند في الفترة ١٧٢٢-١٨٥٨. وكان هؤلاء شيعة إماميّة من أصل فارسيّ.

أسّس هذه الدولة برهان سعادت خان (اسمه الحقيقيّ: مير محمّد أمين موسويّ) وحكم ما بين عامي ١٧٢٢ - ١٧٣٩م، وكان المغول المسلمون قد جعلوه محافظاً على «ولاية أوده» لخدماته الجليلة. وكان لقبه الأصليّ «ناظم» وهي مرتبة وظيفيّة تعادل المحافظ، ولم يمرّ وقت طويل ليصبح «نائباً»، أي وزيراً للمغول وحاكماً لهذه المنطقة. ثمّ تلاه في الحكم كلٌّ من:

١) خان صفدر جنك (**اسمه الحقيقيّ** محمّد مقيم: حكم بين عامَي ١٧٣٩-١٧٥٤).

٢) شجاع الدولة (جلال الدّين حيدر: ١٧٥٤ - ١٧٧٥م).

٣) آصف الدولة (محمّد يحيى ميرزا أميني: ١٧٧٥ - ١٧٩٧م).

٤) آصف جاه ميرزا (وزير عليّ خان: ١٧٩٧ - ١٧٩٨م).

٥) يمين الدّولة (سعادت عليّ خان الثاني: ١٧٩٨ - ١٨١٤م).

٦) رفعت الدولة بادشاه أوده (غازي الدين حيدر، أبو المظفّر: ١٨١٤ - ١٨٢٧م).

٧) ناصر الدين حيدر شاه جهان (قطب الدين سليمان شاه، أبو المنصور: ١٨٢٧ - ١٨٣٧م).

٨) أبو الفتح معين الدين (محمّد عليّ شاه: ١٨٣٧ -١٨٤٢).

٩) نجم الدولة أبو المظفّر مصلح الدّين (أمجد عليّ شاه: ١٨٤٢ - ١٨٤٧م).

١٠) أبو المنصور ميرزا (وجيد أو واجد عليّ شاه: ١٨٤٧ - ١٨٥٦م).

١١) السيّدة بيكُم حضرت محلّ (محمّدي خانم: ١٨٥٧ - ١٨٥٨م). وكانت الزوجة الأولى لنوّاب واجد عليّ شاه. تمرّدت ضدّ «شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة» خلال التمرّد الهنديّ عام ١٨٥٧م. وبعد أن نفى البريطانيّون زوجها إلى كالكوتا، أضحت بيكم حضرت محلّ النّائب في لكهنو، وبجانبها ابنها برجيس قدرا (اسمه الحقيقيّ رمضان عليّ)، ولكنّ البريطانيّين ضيّقوا عليها وحاربوها ما اضطرّها إلى اللّجوء إلى النيبال حيث توفّيت هناك، عام ١٨٧٩.

مراقبات شهر ذي القعدة الحرام

مَن منكم يريدُ التوبة؟

إعداد: «شعائر»

ذو القِعدة، من الأشهر الأربعة الحُرم، وثاني أشهر الحجّ. يحتضن ولادة ثامن أئمّة أهل البيت الإمام الرضا عليه السلام، وذكرى شهادته، وشهادة ولده الإمام الجواد عليه السلام. وفي الخامس والعشرين منه دُحيت الأرض من تحت الكعبة، ولهذا اليوم وليلته شأنٌ عظيم. أمّا عمل التوبة في يوم الأحد من هذا الشهر، فهو ممّا ينتظره المراقب لعمله، والراجي لعفو ربّه. ومن أسرار هذا الشهر ليلة النصف منه، وهي ليلة ينظر فيها الله تعالى إلى عباده بالرحمة.

خصوصية الشهر الحرام

من خصائص الأشهر الحُرم ما رواه المفيد عليه الرحمة في (المُقنعة)، أنّه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **مَن صامَ من شَهْرٍ حَرامٍ الخَميسَ والجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ، كَتَبَ اللهُ له عِبادَةَ تِسْعِمائَةِ سَنَةٍ**».

كذلك في هذا الشهر تزداد الحاجة إلى المراقبة؛ قال المُحدّث القمّي في (مفاتيح الجنان): «قال الشيخ الأجلّ عليّ بن إبراهيم القمّي: إنّ السّيّئات تُضاعف في الأشهر الحُرم، وكذلك الحسنات».

عمل التّوبة يوم الأحد من ذي القعدة

(إقبال الأعمال): عن أنَس بن مالك، قال: «خرج رسول الله، صلّى الله عليه وآله، يوم الأحد في شهر ذي القِعدة فقال: **يا أيُّها النّاسُ، مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُريدُ التَّوْبَةَ؟**

قلنا: كلّنا نريد التّوبة يا رسول الله.

فقال صلّى الله عليه وآله: **اغْتَسِلوا وَتَوَضَّأوا وَصَلُّوا أَرْبَعَ رَكَعاتٍ** [كلّ ركعتين بتشهُّد وتسليم] **وَاقْرَأُوا في كُلِّ رَكْعَةٍ** (فاتِحَةَ الكِتابِ) **مَرَّةً، وَ**(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) **ثَلاثَ مَرّاتٍ، وَ**(المُعَوِّذَتَيْنِ) **مَرَّةً، ثُمَّ اسْتَغْفِروا سَبْعينَ مَرَّةً، ثُمَّ اخْتُموا بِـ (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ)، ثُمَّ قولوا: (يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ، اغْفِرْ لِي ذُنوبِي وَذُنُوبَ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ).**

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: **ما مِنْ عَبْدٍ مِنْ أُمَّتي فَعَلَها إِلّا نُودِيَ مِنَ السَّماءِ: يا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ العَمَلَ، فَإِنَّكَ مَقْبولُ التَّوْبَةِ مَغْفورُ الذَّنْبِ.**

وَيُنادي مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ: أَيُّها العَبْدُ، بورِكَ عَلَيْكَ وَعَلى أَهْلِكَ وَذُرِّيَّتِكَ.

وَيُنادي مُنادٍ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، تَرْضى خُصَماؤُكَ يَوْمَ القِيامَةِ.

وَيُنادي مَلَكٌ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، تَموتُ عَلى الإيمانِ، وَلا يُسْلَبُ مِنْكَ الدِّينُ، وَيُفْسَحُ في قَبْرِكَ وَيُنَوَّرُ فيهِ.

وَيُنادي مُنادٍ آخَرُ: أَيُّها العَبْدُ، يَرْضى أَبَواكَ وَإِنْ كانا ساخِطَيْنِ، وَغُفِرَ لِأَبَوَيْكَ ذلك (ولك) وَلِذُرِّيَّتِكَ، وَأَنْتَ في سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

وَيُنادي جَبْرَئيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَنا الَّذي آتيكَ مَعَ مَلَكِ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلامُ، أن يَرْفَقَ بِكَ وَلا يَخْدِشَكَ أَثَرُ المَوْتِ، إِنَّما تُخْرِجُ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِكَ سَلّاً.

قلنا: يا رسول الله، لو أنَّ عبداً يقول في غير الشّهر؟ فقال عليه السلام: **مِثْلَ ما وَصَفْتُ، وَإِنَّما عَلَّمَني جَبْرَئيلُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، هَذِهِ الكَلِماتِ أَيّامَ أُسْرِيَ بي**».

اليوم الحادي عشر: ولادة الإمام الرّضا عليه السلام

يقول المحدّث القمّيّ في (الأنوار البهيّة)، في الفصل الذي أفرده للنور العاشر من آل محمّد صلّى الله عليه وآله: «الإمام الثامن الضامن المأمول المرتجَى، بضعة سيّد الورى مولانا أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأولاده أئمّة الهدى. وُلد عليه السلام في الحادي عشر من ذي القعدة، يوم الخميس أو يوم الجمعة بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة، بعد وفاة جدّه الصادق عليه السلام بأيامٍ قليلة، وكان الصادق عليه السلام يتمنّى إدراكه. ففي الخبر عن موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، قال: (**سَمِعْتُ أَبي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِما السَّلامُ غَيْرَ مَرَّةٍ، يَقول لي: إنَّ عالِمَ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ لَفي صُلْبِكَ، وَلَيْتَني أَدْرَكْتُهُ، فَإِنَّهُ سَمِيُّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ**)».

ليلة النّصف من الشّهر

روى السيّد ابن طاوس في (الإقبال) في شرف هذه الليلة، قال: «عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّ (**في ذي القِعْدَةِ لَيْلَةٌ مُبارَكَةٌ، وَهِيَ لَيْلَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ، يَنْظُرُ اللهُ إلى عِبادِهِ الْمُؤْمِنينَ فيها بِالرَّحْمَةِ؛ أَجْرُ العامِلِ فيها بِطاعَةِ اللهِ أَجْرُ مائَةِ سائِحٍ لَمْ يَعْصِ اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ**)، فإذا كان نصفُ اللّيل فَخُذ في العمل بطاعة الله والصّلاة وطلبِ الحوائج، فقد رُوي أنّه لا يبقى أحدٌ سألَ الله فيها حاجةً إلّا أعطاه... وبالجملة، العملُ في هذه اللّيلة من جهة قِلّة العاملِ به لعدمِ اشتهاره، له خصوصيّةٌ ليست في غيره من أعمال اللّيالي المشهورة، وهذه من المُهمّات عند المُراقبين، لأنّ الذّكر عند غفلة العامّة عن مهامّ المُراقبات أسرعُ للإجابة، وأقربُ للقبول، وأزيَدُ في الأجر، وأعظمُ عند الله تعالى..».

اليوم الثّالث والعشرون: شهادة الإمام الرّضا عليه السّلام

* روى الصدوق في (عيون الأخبار) عن أبي الحسن الهادي عليه السلام، قال: «**مَنْ كانَتْ لَهُ إلى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ حاجَةٌ، فَلْيَزُرْ قَبْرَ جَدّي الرِّضا، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِطُوسٍ وَهُوَ عَلى غُسْلٍ، وَلْيُصَلِّ عِنْدَ رَأْسِهِ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعالى حاجَتَهُ في قُنوتِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَجيبُ لَهُ، ما لَمْ يَسْأَلْ في مَأْثَمٍ أَوْ قَطيعَةِ رَحِمٍ، فَإِنَّ مَوْضِعَ قَبْرِهِ لَبُقْعَةٌ مِنْ بِقاعِ الْجَنَّةِ، لا يَزورُها مُؤْمِنٌ إِلّا أَعْتَقَهُ اللهُ تَعالى مِنَ النّارِ وَأَحَلَّهُ دارَ القَرارِ**».

* قال الشيخ المفيد في (المقنعة)، في باب مختصر زيارة الإمام الرضا عليه السلام: «تقف على قبره – بعد أن تغتسل لزيارته، وتلبس أطهر ثيابك – وتقول:

السَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ وَابْنَ وَلِيِّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا إمامَ الْهُدى وَالْعُرْوَةَ الْوُثْقى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى عَلَيْهِ آباؤُكَ الطّاهِرُونَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، لَمْ تُؤْثِرْ عَمىً عَلى هُدىً وَلَمْ تَمِلْ مِنْ حَقٍّ إلى باطِلٍ، وَأَنَّكَ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَدَّيْتَ الأَمانَةَ، فَجَزاكَ اللهُ عَنِ الإسْلامِ وَأَهْلِهِ خَيْرَ الْجَزاءِ، أَتَيْتُكَ بِأَبي [أنت] وَأُمّي زائِراً عارِفاً، بِحَقِّكَ مُوالِياً لأَوْلِيائِكَ مُعادِياً لأَعْدائِكَ فَاشْفَعْ لي عِنْدَ رَبِّكَ.

ثمّ انكبّ على القبر فقبّله، وَضَعْ خدّيك عليه، ثمّ تحوّل إلى عند الرأس، **فقل: السَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الإمامُ الهادي وَالوَلِيُّ الْمُرْشِدُ، أَبْرَأُ إلى اللهِ تَعالى مِنْ أَعْدائِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إلَى اللهِ بِوِلايَتِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.**

ثمّ صلِّ ركعتَي الزيارة، وصلِّ بعدهما ما بدا لك، وتحوّل إلى عند الرِّجلين فادعُ بما شئتَ إن شاء الله».

الليلة الخامسة والعشرون ويومها: دَحْو الأرض

* يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه في ثواب ليلة دحو الأرض ويومها: «**إِنَّ أَوَّلَ رَحْمَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّماءِ إِلى الأَرْضِ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ ذي القِعْدَةِ، فَمَنْ صامَ ذَلِكَ اليَوْمَ وَقامَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَهُ عِبادَةُ مائَةِ سَنَةٍ، صامَ نَهارَها وَقامَ لَيْلَها..**».

* وقال الشيخ النجفي في (جواهر الكلام) حول اليوم الخامس والعشرين: «يومُ دَحْوِ الأرض من تحت الكعبة، وهو اليومُ الخامس والعشرون من ذي القعدة الّذي في ليلته وُلد إبراهيم عليه السّلام، ووُلد عيسى عليه السّلام.

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، قال: (**في خَمْسٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَة مِنْ ذي القَعْدَةِ أُنزِلَت الرَّحْمَةُ مِنَ السَّماءِ، وأُنْزِلَ تَعْظيمُ الكَعْبَةِ عَلى آدَمَ؛ فمَن صامَ ذَلِكَ اليَوْمَ اسْتَغْفَرَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ**).

وعن أبي الحسن الأوّل (الإمام الكاظم) عليه السلام في حديثٍ، قال: (**وفي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ ذي القَعْدَةِ وُضِعَ البَيْتُ، وَهُوَ أَوَّلُ رَحْمَةٍ وُضِعَتْ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ، فَجَعَلَهُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، مَثابَةً لِلنّاسِ وَأَمْناً، مَنْ صامَ ذَلِكَ اليَوْمَ كَتَبَ اللهُ له صِيامَ سِتّينَ شَهْراً**) ».

اليوم الأخير: شهادة الإمام الجواد عليه السّلام

* روى الشيخ المفيد في (المقنعة) عن إسماعيل بن مهران، قال: «لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدّفعة الأولى من خرجتَيه، قلتُ له عند خروجه: جعلتُ فداك، إنّي أخافُ عليك في هذا الوجه، فإلى مَن الأمر بعدك؟

قال: فكرّ إليّ بوجهه ضاحكاً، وقال لي: **لَيْسَ الْغَيْبَةُ حَيْثُ ظَنَنْتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ**.

فلمّا استدعى به المعتصم [المرّة الثانية بعد موت المأمون] صرتُ إليه، فقلت له: جُعِلتُ فداك أنت خارجٌ، فإلى مَن هذا الأمر من بعدك؟... [فـ]التفت إليّ، فقال: **عِنْدَ هَذِهِ يُخَافُ عَلَيَّ، الأَمْرُ مِنْ بَعْدي إلى ابْنِي عَلِيٍّ**».

* **صلاة الإمام الجواد عليه السلام**: ركعتان كُلّ ركعة بـ (الفاتحة) مرّة، و(الإخلاص) سبعين مرّة.

* **دُعاؤه عليه السلام**: «اللَّهُمَّ رَبَّ الأَرْواحِ الفانِيَةِ، وَالأَجْسادِ البالِيَةِ، أَسْأَلُكَ بِطاعَةِ الأَرْواحِ الرّاجِعَةِ إِلى أَجْسادِها، وَبِطاعَةِ الأَجْسادِ المُلْتَئِمَةِ بِعُروقِها، وَبِكَلِمَتِكَ النّافِذَةِ بَيْنَهُمْ وَأَخْذِكَ الحَقَّ مِنْهُمْ، وَالخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ قَضائِكَ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، وَيَخافُونَ عِقابَكَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلِ النُّورَ فِي بَصَرِي، وَاليَقِينَ فِي قَلْبِي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلى لِسانِي، وَعَمَلاً صالِحاً فَارْزُقْنِي».

أعمال يوم دَحْو الأرض

- الغُسل.
- الصّوم.
- رَكعتان عند الضُّحى [بعد طلوع الشّمس، وقبل صلاة الظّهر] بـ (الحمد) مرّة، وسورة (الشّمس) خمس مرّات، ويقول بعد التّسليم: (**لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**).
- ثمّ يدعو ويَقول: (**يا مُقِيلَ العَثَراتِ أَقِلْنِي عَثْرَتِي، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ أَجِبْ دَعْوَتِي، يا سامِعَ الأَصْواتِ اِسْمَعْ صَوْتِي وَارْحَمْنِي وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتِي وَما عِنْدِي، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام**).
- ويُستَحبّ أن يدعو في هذا اليوم بهذا الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ داحِيَ الكَعْبَةِ وَفالِقَ الحَبَّةِ...**». [مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذي القعدة]
- زيارة الإمام الرّضا عليه السلام، وقد ورد أنّ زيارته في هذا اليوم من آكَد المستحبّات.

(مفاتيح الجنان)

موجز في التّفسير
سورةُ (المرسلات)

سليمان بيضون

*** السورة السابعة والسبعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «الهُمَزَة».**

*** سُمّيت بـ «المرسلات» لابتدائها بقوله تعالى بعد البسملة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾.**

*** آياتها خمسون، وهي مكيّة، مَنْ قرأها كُتب «أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ المُشْرِكِينَ»، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

*** ما يلي موجز في تفسير السورة المباركة اخترناه من تفاسير مُتعدّدة أبرزها «الأمثل» للمرجع الدينيّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ.**

في كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق قدّس سرّه، أنّه قيل للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أَسْرَعَ الشَّيْبُ إِلَيْكَ يا رَسولَ الله! فقال: «شَيَّبَتْني سورَةُ هودٍ، والواقِعَة، وَالْمُرْسَلات، وعَمَّ يَتَساءَلونَ». فهذه السورة هي واحدة من السّوَر التي تركت أثراً بالغاً في الروح المُقدّسة للنبيّ صلّى الله عليه وآله.

محتوى السورة

أكثر محتويات هذه السورة تدور حول المسائل المرتبطة بالقيامة وتهديد المُنكرين لها وإنذارهم، ومن خصائصها تكرار الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات بعد كلّ موضوع جديد، وتُنبئ السورة بعد ذكر «الأقسام» في بدايتها عن القيامة والحوادث الثقيلة والصعبة للبعث.

أمّا أبرز محتوياتها، فهي كالتالي:

* القسَم بأمور أربعة اختلف المفسّرون في المقصود منها، الآيات (١-٦).

* بعض التغييرات الكونيّة يوم القيامة، الآيات (٨-١٢).

* جانب من خُصوصيّات خلق الإنسان، الآيات (٢٠-٢٣).

* بيان بعض المواهب الإلهيّة في الأرض، الآيات (٢٥-٢٧).

* تصوير بليغ لأحوال عذاب المُكذّبين، الآيات (٢٣-٢٩).

* إشارة إلى نِعَم الجنان للمُتّقين، الآيات (٤١-٤٤).

* يعود ختام السورة إلى المقصد الأصليّ لها وهو إنذار المُكذّبين، الآيات (٤٦-٥٠).

فضيلة السورة

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ (سورَةَ الْمُرْسَلاتِ) كُتِبَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكينَ».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً) عَرَّفَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

«الأَيْمانُ» التي استُهلّت بها السورة

ذُكرت في صدر السورة ابتداءً خمسة أيمان، وذلك في خمس آيات، والحديث وافرٌ في تفسير معانيها:

يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، أي قسَماً بالتي تُرسَل تِباعاً. ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾، التي تُسرع في حركتها كالعاصفة. ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾، التي تُوسع وتنشر ما وكّلت به. ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾، التي تفرق وتفصل. ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾، التي تلقي بالآيات الموقظة والمذكّرة. ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾، إمّا لإتمام الحجّة أو للإنذار.

هذه الأيمان المغلّظة التي تخبر عن مسائل مُهمّة، لها تفاسير ثلاثة:

١ - أنّ هذه الأيمان الخمسة إشارة إلى الرياح والعواصف التي لها الأثر البالغ في كثير من مسائل الطبيعة في العالم، فيصبح معنى الآيات حينئذٍ: أُقسم بالريح المتوالية الهبوب، وأُقسم بالأعاصير السريعة، وأُقسم بناشرات السحاب التي تأخذ المطر إلى الأراضي الميتة، وأُقسم بالرياح التي تُفرّق السحاب بعد هطول المطر، وأُقسم بالرياح المُذَكِّرة بالله بهذه المعطيات النافعة.

٢ - أنّ هذه الأيمان إشارة إلى ملائكة السماء، فيكون المعنى: أُقسم بالملائكة المرسلة تباعاً إلى الأنبياء، وأُقسم بأولئك المسرعين كالإعصار لتنفيذ مهامّهم، والذين ينشرون ما أنزل الله على الأنبياء، وأولئك الذين يفصلون بعملهم هذا الحقّ عن الباطل، والذين يُلقون ذكرَ الحقّ وأوامر الله على الأنبياء.

٣ – أنّ القَسَم الأوّل والثاني ناظرٌ إلى الرياح والأعاصير، والقسَم الثالث والرابع والخامس يتعلّق بنشر آيات الحقّ بواسطة الملائكة، ثمّ فصْل الحقّ عن الباطل، وبعد ذلك إلقاء الذكر والأوامر الإلهيّة على الأنبياء بقصد إتمام الحجّة والإنذار.

وما يمكن أن يكون شاهداً على التفسير الثالث هو:

أوّلاً: فصل المجموعتين من الأقسام التي في الآيات بـ«الواو»، والحال أنّ البقيّة عطفت بالفاء وهي علامة ارتباطها.

ثانياً: أنّ هذه الأيمان واردةٌ لموضوع الآية السابعة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾، أي أحقّيّة البعث والمعاد وواقعيّته، ونعلم أنّ تغيّراً عظيماً يحصل في الدنيا عند البعث، حيث العواصف الشديدة والزلازل والحوادث المهيبة من جهة، ثمّ تشكيل محكمة العدل الإلهيّة من جهة أخرى، وعندها تنشر الملائكة صحائف الأعمال وتفصل بين المؤمنين والكافرين، وتُلقي بالحكم الإلهيّ في هذا المجال. وطبقاً لهذا التفسير سوف يتناسب القَسَمُ مع المُقسَم له، ولهذا فهو الأقرب والله العالم.

ويلٌ يومئذٍ للمُكذّبين

تكرّرقوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات في سورة المرسلات، والآية نفسها في سورة المطفّفين الآية العاشرة، وورد قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في الآية الحادية عشرة من سورة الطور، بزيادة الفاء.

* جاء في تفسير (التبيان) للشيخ أبي جعفر الطوسيّ: «وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ لَمن جحَدَ يومَ القيامة وكذّب بالثواب والعقاب، وإنّما خصّ الوعيد في الذكر بالمكذّبين لأنّ التكذيب بالحقّ يتبعُه كلّ شيء، فخصالُ المعاصي تابعةٌ له وإن لم يُذكَر معه، مع أنّ التكذيب قد يكون في القول والفعل المخالف للحقّ..».

* وقال في (الأمثل): «هدّد الله تعالى المُكذّبين بيوم القيامة تهديداً شديداً وقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. **والوَيْل**: قيلَ هو الهلاك، وقيل المراد به العذاب المتنوّع، وقيل هو وادٍ في جهنّم مليءٌ بالعذاب..».

من مفردات السورة

* ﴿..ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: ذهب ضَوْؤُها ومُحق نورها.

* ﴿..ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: شُقّت وتصدّعت كواكبها.

* ﴿..ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: من التوقيت ليومٍ معلوم، أي عُرف وقت شهادة الرُّسُل على أُممهم.

* ﴿..ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: وعاء يضمّ الخلائق، أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها.

رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام – وهو عائدٌ بجيشه من صفّين – نظر إلى المقابر فقال: «**هَذِهِ كِفاتُ الأَمْواتِ** – أي مساكنهم – **ثُمَّ نَظَرَ إِلى بُيوتِ الكوفَةِ فَقالَ: هَذِهِ كِفاتُ الأَحْياءِ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ** تَعالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾». (الآيتان:٢٥-٢٦)

نظرَ أمير المؤمنين عليه السلام – وهو عائدٌ بجيشه من صفّين – إلى المقابر، فقال: «هَذِهِ كِفاتُ الأَمْواتِ» – أي مساكنُهم – ثُمَّ نَظَرَ إلى بُيوتِ الكوفَةِ فَقالَ: «هَذِهِ كِفاتُ الأَحْياءِ»، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ..﴾

تحية الإسلام «السلام»

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

«التحيّة» مشتقّة من «الحياة» وتعني الدعاء لدوام حياة المقصودين بها سواء كانت التحيّة بصيغة «السلام عليكم» أو «حيّاك الله» أو ما شاكلهما من صيغ التحيّة والسلام، ومهما تنوّعت صيغ التحيّة بين مختلف الأقوام تكون صيغة «السلام» المصداق الأوضح من كلّ تلك الأنواع.

في ما يلي بحث للعلّامة الطباطبائي عن مفهوم التحيّة في الإسلام أورده في المجلّد الخامس من تفسيره «الميزان» لمناسبة الحديث عن الآية السادسة والثمانين من سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم ..﴾.

لا تخلو الأُمم والأقوام - على اختلافها في الحضارة والتوحّش والتقدّم والتأخّر- من تحيّة يمارسونها عند ملاقاة بعضهم البعض، وهذه التّحيّة تتنوّع من الإشارة بالرأس واليد، ورفع القلانس وغير ذلك، وهي مختلفة باختلاف العوامل المختلفة العاملة في مجتمعاتهم.

وأنت إذا تأمّلت هذه التحيّات الدائرة بين الأُمم على اختلافها وعلى اختلافهم وجدتَها حاكية مشيرة إلى نوع من الخضوع والهوان والتذلّل يبديه الداني للعالي، والوضيع للشريف، والمطيع لمُطاعه، والعبد لمولاه. وبالجملة، تكشف هذه التّحايا عن رسم الاستعباد الذي لم يزل رائجاً بين الأمم في أعصار الهمجيّة فما دونها وإن اختلفت ألوانه، ولذلك، ما نراه من أنّ هذه التحيّة تبدأ من المطيع وتنتهي إلى المطاع، وتشرع من الداني الوضيع وتُختتم في العالي الشريف، فهي من ثمرات الوثنيّة التي ترتضع من ثَدي الاستعباد.

والإسلام - كما تعلم - أكبرُ همّه محو الوثنيّة وكلّ رسم من الرسوم ينتهي إليها ويتولّد منها، ولذلك أخذ لهذا الشأن طريقةً سويّة وسُنّة مقابلة لسُنّة الوثنيّة ورسم الاستعباد، وهو إلقاء السلام، الذي هو بنحوٍ أمنُ المسلَّم عليه من التعدّي عليه ودحض حرّيته الفطريّة الإنسانيّة الموهوبة له، فإنّ أوّل ما يحتاج إليه الاجتماع التعاونيّ بين الأفراد هو أن يأمن بعضُهم بعضاً في نفسه وعِرضه وماله، وكلّ أمر يؤول إلى أحد هذه الثلاثة.

وهذا هو «السلام» الذي سنّ الله تعالى إلقاءه عند كلّ تلاق من متلاقيَين، قال تعالى: ﴿..فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ..﴾ النور:٦١، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور:٢٧.

وقد أدّب الله رسولَه صلّى الله عليه وآله وسلّم، بالتسليم للمؤمنين - وهو سيّدهم - فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ..﴾ الأنعام:٥٤، وأمره بالتسليم لغيرهم في قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الزخرف:٨٩.

والتحيّة بإلقاء السلام كان معمولاً بها عند عرب الجاهليّة على ما يشهد به المأثور عنهم من شعر ونحوه، وفي (لسان العرب): «وكانت العرب في الجاهليّة يحيّون بأن يقول أحدُهم لصاحبه: أنعِم صباحاً، وأُبيتَ اللّعن، ويقولون: سلامٌ عليكم، فكأنه علامة المسالمة، وأنّه لا حرب هنالك. ثمّ جاء الله بالإسلام فقصروا على السلام، وأُمروا بإفشائه».

إلّا أنّ الله سبحانه يحكيه [السلام] في قصص إبراهيم عنه عليه السلام كثيراً، ولا يخلو ذلك من شهادةٍ على أنّه كان من بقايا دين إبراهيم الحنيف عند العرب؛ كالحجّ ونحوه، قال تعالى حكاية عنه فيما يحاور أباه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ

لَكَ رَبِّيٓ ..﴾ مريم:٤٧، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ ..﴾ هود:٦٩، والقصّة واقعة في غير مورد من القرآن الكريم.

ولقد أخذه الله سبحانه تحيّة لنفسه، واستعمله في موارد من كلامه، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الصافات:٧٩، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الصافات:١٠٩، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الصافات: ١٢٠، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ الصافات:١٣٠، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الصافات:١٨١، وذكر تعالى أنّه تحيّة ملائكته المكرمين، قال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ..﴾ النحل:٣٢، وقال: ﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ..﴾ الرعد:٢٣-٢٤، وذكر أيضاً أنّه تحيّة أهل الجنّة، قال: ﴿..وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ ..﴾ يونس:١٠، وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ الواقعة:٢٥-٢٦.

السلام في الروايات

[وفيما يلي نبذة من الروايات في أمّهات المصادر الروائية]:

* في (الكافي) بإسناده عن السكوني قال: قال رسول الله ﷺ: «**السَّلامُ تَطوّعٌ والردُّ فَريضةٌ**».

* وفيه بإسناده عن جراح المدائني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**يُسلّمُ الصَّغيرُ على الكَبيرِ، والمارُّ على القاعِدِ، وَالقَليلُ عَلى الكَثيرِ**».

* وفيه [الكافي] بإسناده عن عيينة، عن مصعب، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**القليلُ يَبْدَأونَ الكَثيرَ بِالسَّلامِ، وَالرّاكِبُ يَبْدَأُ الماشي، وَأَصْحابُ البِغالِ يَبْدَأونَ أَصْحابَ الحَميرِ، وَأَصْحابُ الخَيْلِ يَبْدَأونَ أَصْحابَ البِغالِ**».

* وفيه بالإسناد عنه عليه السلام، قال: «**إذا مَرّتِ الجَماعَةُ بِقَوْمٍ أَجْزَأَهُمْ أَنْ يُسَلِّمَ واحِدٌ مِنْهُمْ، وَإِذا سَلَّمَ عَلى القَوْمِ وَهُمْ جَماعَةٌ أَجْزَأَهُمْ أَنْ يَرُدَّ واحِدٌ مِنْهُمْ**».

* وفي (التهذيب) بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو في الصلاة فقلت: السلام عليك. فقال: **السَّلامُ عَلَيْكَ**. فقلت: كيف أصبحت؟ فسكت، فلمّا انصرف [من صلاته] قلت: أيَرُدُّ [المصلّي] السلامَ وهو في الصلاة؟ قال: **نَعَمْ، مِثْلَ ما قيلَ لَهُ**».

* وفيه بإسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إذا سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ وَأَنْتَ تُصَلّي تَرُدُّ عَلَيْهِ خَفِيّاً كَما قالَ**».

* وفي (الفقيه) [من لا يحضره الفقيه] بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: «**لا تُسَلِّموا على اليهودِ ولا على النَّصارى ولا على المَجوس، ولا على عَبَدَةِ الأَوْثانِ، ولا على موائدِ شرابِ الخَمْرِ، ولا على صاحِبِ الشَّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ، ولا على المُخَنَّثِ، ولا على الشّاعِرِ الّذي يَقْذِفُ المُحْصَناتِ، ولا على المُصَلّي لأَنَّ المُصَلّيَ لا يَستطيعُ أَنْ يَرُدَّ السَّلامَ لِأَنَّ التَّسْليمَ مِنَ المُسَلِّمِ تَطَوُّعٌ وَالرَّدَّ فَريضَةٌ، وَلا عَلى آكِلِ الرِّبا، وَلا عَلى رَجُلٍ جالسٍ عَلى غائِطٍ، وَلا على الّذي في الحَمّامِ، وَلا عَلى الفاسِقِ المُعْلِنِ بِفِسْقِهِ**».

والروايات في معنى ما تقدّم كثيرة.

أوّل ما يحتاج إليه الاجتماع الإنسانيّ بين الأفراد هو أن يأمن بعضُهم بعضاً في نفسه وعِرضه وماله، وهذا هو «السلام» الذي سنّ الله تعالى إلقاءه عند كلّ تلاقٍ من متلاقيَين

الخلاصة

فالسلام تحيّة مؤذِنة ببسط السِّلم، ونشر الأمن بين المتلاقين على أساس المساواة والتعادل، وما في الروايات من ابتداء الصغير بالتسليم للكبير، والقليل للكثير، والواحد للجمع لا ينافي مسألة المساواة وإنّما هو مبنيّ على وجوب رعاية الحقوق، فإنّ الإسلام لم يأمر أهله بإلغاء الحقوق وإهمال أمر الفضائل والمزايا، بل أمَرَ غيرَ صاحب الفضل أن يراعيَ فضلَ ذي الفضل، وحقَّ صاحب الحقّ، وإنّما نهى [الإسلام] صاحبَ الفضل أن يُعجَب بفضله، ويتكبّر على غيره فيبغي على الناس بغير حقّ فيبطل بذلك التوازن بين أطراف المجتمع الإنساني.

وأمّا النهي الوارد عن التسليم على بعض الأفراد فإنّما هو متفرّعٌ على النهي عن تولّيهم والركون إليهم كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ..﴾ المائدة:٥١، وقال: ﴿..لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ..﴾ الممتحنة:١، وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟..﴾ هود:١١٣، إلى غير ذلك من الآيات.

نعم ربّما اقتضت مصلحة التقرّب من الظالمين لتبليغ الدين أو إسماعهم كلمة الحقّ التسليمَ عليهم ليحصل به تمام الأنس وتمتزج النفوس، كما أُمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك في قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ..﴾ الزخرف:٨٩، وكما في قوله يصِفُ المؤمنين: ﴿..وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ الفرقان:٦٣.

* وفي تفسير (الصافي): «عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ رجلاً قال له: السلام عليك، فقال: **وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ**. وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: **وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ**، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: **وَعَلَيْكَ**، فقال الرجل: نقصتني فأين ما قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا..﴾ النساء:٨٦، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **إِنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ فَضْلاً، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ مِثْلَهُ**».

* وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام، قال: «مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بقومٍ فسلّم عليهم فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: **لا تُجاوِزوا بِنا مِثْلَ ما قالتِ المَلائكةُ لِأَبينا إبراهيمَ، قالوا**: ﴿..رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ..﴾».

وفيه إشارة إلى أنّ السنّة في التسليم التامّ – وهو قول المُسلِّم «**السلام عليك ورحمة الله وبركاته**» – مأخوذة من حنيفيّة إبراهيم عليه السلام، وتأييدٌ لما تقدّم أنّ التحيّة بالسلام من الدين الحنيف.

* وفيه [الكافي] عن الصادق عليه السلام: «**إنَّ مِنْ تَمامِ التَّحِيَّةِ لِلمُقيمِ المُصافَحَة، وتمامِ التَّسْليمِ عَلى المُسافرِ المُعانَقَة**».

* وفي (الخصال) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ قولوا يَرْحَمُكُمُ اللهُ، وَهُوَ يَقولُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ؛ قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ..﴾**».

* وفي (المناقب): «جاءت جارية للحسن عليه السلام بطاق ريحان، فقال لها: **أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ**، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: **أَدَّبَنا اللهُ تَعالى فقالَ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ..﴾ وَكانَ أَحْسَنَ مِنْها إعْتاقُها**».

والروايات – كما ترى – تعمّم معنى التحيّة في الآية.

ما في الروايات من ابتداء الصغير بالتسليم للكبير، والقليل للكثير، والواحد للجمع، لا ينافي مسألة المساواة، وإنّما هو مبنيّ على وجوب رعاية الحقوق

ربّما اقتضت مصلحة التقرّب من الظالمين لتبليغ الدين، أو إسماعهم كلمة الحقّ، التسليمَ عليهم

مناسبات شهر ذي القعدة

إعداد: «شعائر»

١ ذي القعدة

* بداية ميقات النبيّ موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً..﴾.
* ١٧٣ هجريّة: ولادة السّيّدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السّلام.

٢ ذي القعدة/ ٦ هجريّة

صُلح الحُدَيْبِيَة.

١١ ذي القعدة/ ١٤٨ هجريّة

ولادة الإمام عليّ بن موسى الرّضا، عليه السّلام، في المدينة المُنوّرة.

٢٢ ذي القعدة/ ٥ هجريّة

غزوة بني قُرَيْظَة.

٢٣ ذي القعدة/ ٢٠٣ هجريّة

شهادة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام. (على رواية)

٢٥ ذي القعدة

* دَحْوُ الأرض، ونزول الحجر الأسود وقواعد الكعبة من الجنّة.
* ١٠ هجريّة: خروج النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، إلى حجّة الوداع.

آخر ذي القعدة/ ٢٢٠ هجريّة

شهادة الإمام التقيّ محمّد بن عليّ الجواد عليه السّلام.

تعريف موجَز بأبرز مناسبات شهر ذي القعدة

تُقدّم «شعائر» مُختصَراً حول أبرزِ مناسبات شهر ذي القعدة، كمَدخل إلى حُسن التفاعل مع أيّامه المباركة، مع الحرص على عناية خاصّة بالمناسبات المرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

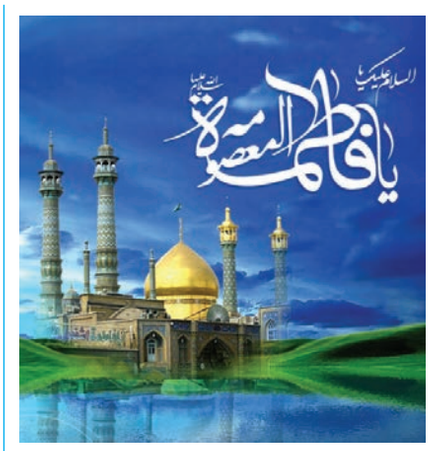

اليوم الحادي عشر: ولادة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام

* دعاؤه عليه السلام في الاحتراز، المُسمّى برقعة الجيب: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بِسْمِ اللهِ إنّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً أَوْ غَيْرَ تَقِيٍّ، أَخَذْتُ بِاللهِ السّمِيعِ البَصِيرِ عَلى سَمْعِكَ وَبَصَرِكَ، لا سُلْطانَ لَكَ عَلَيّ وَلا عَلى سَمْعِي، وَلا عَلى بَصَرِي، وَلا عَلى شَعْرِي، وَلا عَلى بَشَرِي، وَلا عَلى لَحْمِي، وَلا عَلى دَمي، وَلا عَلى مُخِّي، وَلا عَلى عَصَبي، وَلا عَلى عِظامي، وَلا عَلى مالي، وَلا عَلى ما رَزَقَني رَبّي؛ سَتَرْتُ بَيْني وَبَيْنَكَ بِسِتْرِ النُّبُوَةِ الّذي اسْتَتَرَ أَنْبِياءُ اللهِ بِهِ مِنْ سَطَواتِ الجَبابِرَةِ وَالفَراعِنَة، جَبْرَئيلُ عَنْ يَميني، وَميكائيلُ عَنْ يَساري، وَإِسْرافيلُ عَنْ وَرائِي، وَمُحَمّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ أمامي، وَاللهُ مُطّلِعٌ عَلَيّ يَمْنَعُكَ مِنّي وَيَمْنَعُ الشّيْطانَ مِنّي. اللّهُمّ لا يَغْلِبُ جَهْلُهُ أَناتَكَ أَنْ يَسْتَفِزّني وَيَسْتَخِفّني. اللّهُمّ إلَيْكَ إلْتَجَأْتُ، اللّهُمّ إلَيْكَ إلْتَجَأْتُ، اللّهُمّ إلَيْكَ إلْتَجَأْتُ».

(مهج الدعوات، السيد ابن طاوس)

اليوم الأخير: شهادة الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام

* من دُرر كلامه عليه السلام: «حَسْبُ المَرْءِ مِن كَمالِ المُروءَةِ تَركُهُ ما لا يَجمُلُ بِهِ؛ وَمِنْ حَيائِهِ أَنْ لا يَلقى أَحَداً بِما يَكرَهُ، ومِنْ عَقلِهِ حُسنُ رِفقِهِ، ومِن أَدَبِهِ أَلاّ يَترُكَ ما لا بُدَّ لَهُ مِنهُ، وَمِنْ عِرفانه عِلْمُهُ بِزَمانِهِ، وَمِنْ وَرَعِهِ غَضُّ بَصَرِهِ وَعِفَّةُ بَطْنِهِ، وَمِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ كَفُّهُ أَذاهُ، وَمِنْ سَخائِهِ بِرُّهُ بِمَنْ يَجِبُ حَقُّهُ عَلَيْهِ وَإِخْراجُهُ حَقَّ اللهِ مِنْ مالِهِ، وَمِنْ إِسْلامِهِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيهِ وَتَجَنُّبُهُ الجِدالَ وَالمِراءَ في دينِهِ، وَمِنْ كَرَمِهِ إيثارُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمِنْ صَبْرِهِ قِلَّةُ شَكْواهُ، وَمِنْ عَقْلِهِ إِنْصافُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنْ حِلْمِهِ تَرْكُهُ الغَضَبَ عِنْدَ مُخالَفَتِهِ، وَمِنْ إِنْصافِهِ قُبولُهُ الحَقَّ إِذا بانَ لَهُ، وَمِنْ نُصْحِهِ نَهْيُهُ عَمّا لا يَرْضاهُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ حِفْظِهِ جِوارَكَ تَرْكُهُ تَوْبيخَكَ عِنْدَ إِساءَتِكَ مَعَ عِلْمِهِ بِعُيوبِكَ..».

(كشف الغمّة، الإربلي)

عن الإمام الجواد عليه السلام:

«حَسْبُ المَرْءِ مِن كَمالِ المُروءَةِ تَرْكُهُ ما لا يَجمُلُ بِهِ... وَمِنْ وَرَعِهِ غَضُّ بَصَرِهِ وَعِفَّةُ بَطْنِهِ... وَمِنْ إِنْصافِهِ قَبولُهُ الحَقَّ إِذا بانَ لَهُ..»

اليوم الأوّل: ميقات النبيّ موسى عليه السلام

في احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال: «إنّ موسى بْنَ عِمْرانَ وَأَصحابَهُ السَّبْعينَ الّذينَ اخْتارَهُمْ، صاروا مَعَهُ إلى الجَبَلِ فَقالوا لَهُ: إنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ اللهَ، سُبْحانَهُ، فَأَرِناهُ كَما رَأَيْتَهُ؛ فَقالَ لَهُمْ: إنّي لَمْ أَرَهُ. فَقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ فَاحْتَرَقوا عَنْ آخِرِهِمْ وَبَقِيَ موسى وَحيداً، فَقالَ: يا رَبِّ اخْتَرْتُ سَبْعينَ رَجُلاً مِنْ بَني إِسْرائيلَ فَجِئْتُ بِهِمْ وَأَرْجِعُ وَحْدي فَكَيْفَ يُصَدِّقُني قَوْمي بِما أُخْبِرُهُمْ بِهِ؟ فَلَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّايَ أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا، فَأَحْياهُمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ».

(الاحتجاج، الطبرسي)

اليوم الأوّل: ولادة السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام

«روى الحسن بن محمّد القمّيّ، بإسناده عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، أنّه لمّا توفّيت فاطمة رضوان الله عليها سنة ٢٠١ للهجرة، وغُسّلت وكُفّنت، حملوها إلى مقبرة (بابلان)، ووضعوها على سردابٍ حُفر لها، فاختلف آل سعد في مَن يُنزلها إلى السرداب، ثمّ اتّفقوا على خادمٍ لهم صالحٍ، كبير السنّ يقال له (قادر)، فلمّا بعثوا إليه رأَوا راكبَيْن مُقبلَين من جانب الرملة وعليهما اللثام، فلمّا قَرُبا من الجنازة نزلا وصلّيا عليها، ثمّ نزلا السرداب وأنزلا الجنازة ودفناها فيه، ثمّ خرجا ولم يكلّما أحداً، وركبا وذهبا ولم يدرِ أحدٌ مَن هما».

(العقيلة والفواطم، الشاكري)

اليوم الثاني: صُلح الحُديبيَة

«لقيَ رسول الله صلّى الله عليه وآله في (الحُديبية) حين أتاها أذًى كثيراً من المشركين، وغِلظَةً وجفاءً ومكاشفةً له ولأصحابه في العداوة والبغضاء، ولقيَ المشركون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله مثلَ ذلك وأشدّ، عملاً منهم رضي الله عنهم بقوله تعالى: ﴿.. وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ..﴾ التوبة:١٢٣، لكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وَسِع المشركين بحلمه الموحى يومئذٍ إليه من ربّه، عزّ وعلا، بحكمته التي فُطر عليها، وبخُلقه العظيم الذي فضّله الله به على سائر النبيّين والمرسلين، عليه وآله وعليهم السلام.

صدّه المشركون عن مكّة صدّاً شكساً شرساً لئيماً، فما استخفّه بذلك غضب، ولا رَوَّع حلمه رائع، كان يأخذ الأمور - مع أولئك الجفاة - بالملاينة والإغماض، وله في شأنهم كلماتٌ متواضعة، على أنّ فيها من الرفعة والعلاء ما يُريهم إيّاه فوق الثريا، ويُريهم أنفسهم تحت الثرى، وفيها من النُّصح لهم والإشفاق عليهم ما لم يكن فيه ريبٌ لأحدٍ منهم، ومن الحكمة الإلهيّة ما يأخذ بمجامع قلوبهم - على قسوتها وغلظتها - باجتياحهم إليه، ومن الوعيد والتهديد باستئصال جذرتهم وبذرتهم ما يقطعُ نِياطَ قلوبهم».

(النص والاجتهاد، الإمام شرف الدين)

اليوم الثاني والعشرون: غزوة بني قُرَيظة

«لمّا كفى اللهُ المؤمنين قتالَ الأحزاب، نادى منادي رسول الله بالخروج إلى (بني قريظة)؛ ولمّا وصل إليهم جيشُ المسلمين أغلقوا عليهم الحصن، فعرض النبيّ صلّى الله عليه وآله عليهم الإسلام على أن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وإلّا حاصروهم حتّى يستسلموا أو يحاربوا، فأشار عليهم رئيسُهم كعب بن أسد أن يُسلموا ويؤمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله، وقال: فوالله لقد تبيّن لكم أنّه نبيٌّ مرسل وأنّه الذي تجدونه في التوراة، فأبَوا وقالوا: لا نفارقُ ديننا.

وامتدّ الحصار خمساً وعشرين ليلة حتّى أوشكوا على الهلاك من الجهد والخوف، وعندئذ طلبوا من النبيّ صلّى الله عليه وآله - باختيارهم وملء إرادتهم - أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، وهو رئيس الأوس، وكان بنو قريظة حلفاءَ لهم، فاستجاب النبيّ لطلبهم، واستدعى سعداً، وقال له: إنَّ هَؤلاءِ قد نَزَلوا على حُكْمِكَ مُختارين، فاحْكُمْ بِما شِئْتَ. قال سعد: وحُكمي نافذ عليهم؟

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: نَعَمْ.

فحكم سعد أن تُقتل رجالهم المقاتلون، وأن تقسم أموالهم... وأن تكون ديارهم للمهاجرين دون الأنصار، لأنّ للأنصار دياراً، ولا ديار للمهاجرين..».

(تفسير الكاشف، العلامة مغنية)

موتُ القلب، وحياتُه

إعداد: «شعائر»

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «في الإنْسانِ مُضْغَةٌ، إذا هِيَ سَلِمَتْ وَصَحّتْ، سَلِمَ بها سَائِرُ الجَسَدِ، وإذا هي سَقِمَتْ سَقِمَ بها سائِرُ الجَسَدِ وَفَسَدَ، وَهِيَ القَلْبُ».

مجموعة من الأحاديث الشريفة تبيّن الأمور التي تُميت القلب، وأخرى توضح سُبل إحيائه، يليها كلامٌ للشيخ محمّد صالح المازندرني حول أهمية التفكّر الذي به تحيا القلوب، وردتْ في كتابه (شرح أصول الكافي).

ما يُميت القلب

◆ رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* في مواعظه لأبي ذرّ: «إيّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِك، فإنَّهُ يُميتُ القَلْبَ».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «أَرْبَعٌ يُفسِدْنَ القلبَ ويُنْبِتْنَ النِّفاقَ في القلبِ كما يُنبِتُ الماءُ الشَّجرَ: استِماعُ اللَّهوِ، والبِذاءُ، وإتيانُ بابِ السُّلطان، وطَلَبُ الصَّيْدِ».

◆ أمير المؤمنين عليه السلام:

* «مَن عَشِقَ شَيئًا أعْشى (أعمى) بَصَرَهُ وأمرَضَ قَلبَهُ، فَهُوَ يَنظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحيحَةٍ، ويَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيرِ سَميعَةٍ، قَد خَرَقَتِ الشَّهَواتُ عَقْلَهُ، وأماتَتِ الدُّنيا قَلْبَهُ».

* «مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلبُه، وَمَنْ مَاتَ قَلبُهُ دَخَلَ النَّار».

◆ الإمام الصادق عليه السلام:

* «ما مِنْ شَيْءٍ أفسَدُ للقَلْبِ مِنَ الخَطيئَةِ، إنَّ القَلْبَ لَيُواقِعُ الخطيئةَ، فما تزالُ بِهِ حتّى تَغلبَ عليه، فَتُصَيِّرَ أَعْلاهُ أسفله».

.. وما يُحيي القلب

◆ رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* «إنَّ هَذِهِ القُلوبَ تَصْدَأُ كَما يَصْدَأُ الحَديدُ إذا أصابَهُ الماءُ.

قيل: وما جَلاؤها؟

قال: كَثْرَةُ ذِكْرِ المَوْتِ، وتِلاوةُ القُرآن».

* «إنَّ اللهَ، عَزَّ وجَلَّ، يَقُولُ: تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَيْنَ عِبَادِي مِمَّا تَحْيَا عَلَيْهِ الْقُلُوبُ الْمَيْتَةُ، إِذَا هُمُ انْتَهَوْا فِيه إِلَى أَمْرِي».

◆ أمير المؤمنين عليه السلام:

* «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بِالزَّهادَةِ، وذلّله بِذِكْرِ المَوْت».

* «مُعاشَرَةُ ذَوِي الفَضائِلِ حَياةُ القُلُوبِ».

◆ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

* «عليكُم بِالفِكْرِ فَإنَّهُ حَياةُ قَلْبِ البَصيرِ ومَفاتِيحُ أَبْوابِ الحِكْمَةِ».

◆ الإمام الرضا عليه السلام:

* «مَنْ جَلَسَ مَجلِساً يُحيَى فيهِ أمْرُنا، لَمْ يَمُتْ قَلبُهُ يَوْمَ تَموتُ القُلُوب».

قال العلماء

«إنَّ التفكّر نورٌ إلهيٌّ وروحٌ ربّانيٌّ لقلب البصير الفَهِم الذّكيّ؛ به يصيرُ قلبُه حيّاً عالماً عارفاً، يلبسُ رداءَ الحياة ويستيقظ من نوم النسيان وسَهْو الغفلات، ويتخلّص من سكرة الموت بأسقام الجهالات، ويهتدي إلى وجوه المصالح الدُّنيويّة والأخرويّة وما يليق به من الكمالات العقليّة والنقليّة.... والّذي قلبُه حيٌّ بنور التفكّر والعلم، يمشي في المطالب الّتي هي صراطُ الحقّ ومنازل العرفان في ضباب الطبيعة وظُلمات الأبدان، كما يمشي الإنسانُ في ظُلمات اللّيالي بنور المشاعل وضوء المصابيح».

(شرح أصول الكافي، المازندراني)

تصحيحُ النيّة، ومراعاة أسراره الخفيّة
من مختصّات سفر الحجّ

آية الله السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي دام ظله

يَختصّ سفر الحجّ بأمور...

* **منها**: اختيارُ المَشي فيه على الركوب على الأرجح، بل الحَفاء على الانتعال، إلا أن يُضعفه عن العبادة، أو كان لمجرّد تقليل النفقة. «..» ورُوي: «..» «**مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيءٍ مِثْلِ الصَّمْتِ وَالمَشْيِ إِلَى بَيتِهِ**».

* **ومنها**: أن تكون نفقة الحجّ والعمرة حلالاً طيباً، فعنهم عليهم السلام: «..» «**مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرامٍ نُودِيَ عِندَ التّلبِيَةِ: لَا لَبّيكَ عَبدِي وَلَا سَعْدَيكَ**». «..»

* **ومنها**: استحباب نيّة العَود إلى الحجّ عند الخروج من مكّة، وكراهة نيّة عدم العَود. فعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَنْ رَجعَ مِن مَكَّةَ وَهُوَ يَنْوي الحَجَّ مِنْ قَابِلٍ زِيْدَ في عُمُرِه، ومَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَلَا يُرِيدُ العَودَ إِلَيهَا فَقَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ وَدَنا عَذَابُهُ**». وعن الصادق عليه السلام مثله مستفيضاً. «..»

* **ومنها**: أن لا يخرج من الحرمَين الشريفَين بعد ارتفاع النهار، إلا بعد أداء الفرضَين بهما.

* **ومنها**: البدأةُ بزيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لَمن حجّ على طريق العراق. «..»

ومن أهمّ ما ينبغي رعايته في هذا السفر احتسابُه من سفر آخرته بالمحافظة على تصحيح النيّة، وإخلاص السريرة، وأداء حقيقة القُربة، وتجنّب الرياء، والتجرّد عن حبّ المدح والثناء، وأن لا يجعل سفره هذا على ما عليه كثيرٌ من مُترفي عصرنا من جعْله وسيلةً للرفعة والافتخار، بل وُصْلَةً إلى التجارة والانتشار، ومشاهدة البلدان وتصفّح الأمصار، وأن يُراعي أسراره الخفيّة ودقائقه الجليّة، كما يُفصح عن ذلك ما أشار إليه بعض الأعلام [صاحب الجواهر]: «إنّ الله تعالى سَنَّ الحجّ ووضعه على عباده إظهاراً لجلاله وكبريائه، وعُلوّ شأنه وعِظَم سلطانه، وإعلاناً لرقّ الناس وعبوديّتهم وذُلّهم واستكانتهم، وقد عاملهم في ذلك معاملة السلاطين لرعاياهم، والمُلّاك لمماليكهم، يَستذِلُّونهم بالوقوف على بابٍ بعد باب، واللّبث في حجابٍ بعد حجاب. «..» ثمّ أذّن في الناس بالحجّ ليأتوه رجالاً ورُكباناً من كلّ فجّ، وأمَرَهم بالإحرام وتغيير الهيئة واللباس شُعثاً غُبراً، متواضعين مُستكينين، رافعين أصواتهم بالتلبية وإجابة الدعوة، حتّى إذا أتوه كذلك حَجبَهم عن الدخول، وأوقفَهم في حجبه يدعونه ويتضرّعون إليه، حتّى إذا طال تضرُّعهم واستكانتُهم ورجموا شياطينهم بجِمارهم، وخلعوا طاعة الشيطان من رقابهم، أَذِنَ لهم بتقريب قربانهم وقضاء تَفَثِهم، ليطّهروا من الذنوب التي كانت هي الحجاب بينهم وبينه، وليزوروا البيت على طهارة منهم، ثمّ يُعيدهم فيه بما يظهر معه كمالُ الرقّ وكُنه العبوديّة، فجعلهم تارةً يطوفون فيه، ويتعلّقون بأستاره، ويلوذون بأركانه، وأُخرى يسعون بين يدَيه مشياً وعَدْواً ليتبيّن لهم عزّ الربوبيّة، وذلُّ العبوديّة، وليعرفوا أنفسهم، ويضعَ الكِبر من رؤوسهم، ويجعلَ نِيرَ الخضوع في أعناقهم، ويستشعروا شعار المَذلّة، وينزعوا ملابس الفخر والعزّة.

وهذا من أعظم فوائد الحجّ، مضافاً إلى ما فيه من التذكُّر بالإحرام والوقوف في المشاعر العظام لأحوال المحشر، وأهوال يوم القيامة، إذ الحجُّ هو الحشر الأصغر. وإحرامُ الناس وتلبيتهم وحشرهم إلى المواقف ووقوفهم بها والِهين متضرّعين راجعين إلى الفَلاح أو الخَيبة والشقاء، أشبهُ شيءٍ بخروج الناس من أجداثهم، وتَوشُّحهم بأكفانهم، واستغاثتهم من ذنوبهم، وحشرهم إلى صعيدٍ واحد؛ إلى نعيمٍ أو عذابٍ أليم، بل حركاتُ الحاجّ في طوافهم وسَعْيِهم ورجوعهم وعَودهم يشبه أطوار الخائف الوَجِل، المضطربِ المدهوشِ الطالبِ مَلجأً ومَفزعاً، نحو أهل المحشر في أحوالهم وأطوارهم..».

(العروة الوثقى: ٣٣٨/ ٤)

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين:

لا تغترّ ولا تأمن، ما دمتَ حيّاً

مختاراتٌ من ترجمة خاصّة بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازة مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ بهجت، ويَتضمّن الكتاب توجيهات مركزيّة مُختصرة جرى اختيارُها بعناية من كلماته قدّس سرّه.

♦ إذا أُوكِلَ الإنسان لنفسه **طرفة عينٍ** فإنّه **سينقطع** عن الله عزّ وجلّ، وعندها يفعل الشيطان فِعلتَه فيخدع الإنسان ويغرّه.

♦ على الإنسان أن **يراقب أعمالَه**؛ لكي يرى **آثارها** الإيجابية والسلبية و**تبعاتها**.

♦ مع **عيوب النفس** هذه كلّها وضرورة **إصلاحها**، نكاد لا نملك الوقت لمحاسبة أنفسنا، ناهيك عن محاسبة الآخرين!

♦ **بإمكان** الإنسان في كل الحالات والابتلاءات أن يسلك الصراط المستقيم، ويسير على نهج العبودية؛ ويصل في نهاية المطاف إلى مقام **القُرب**.

♦ علينا أن نسعى للتحلّي **بالصّبر والحِلم والتواضع**، وأن **نتجنّب** أن يحترمنا الناس خوفاً منّا ومهابةً لنا.

♦ ينبغي ألا **نغترّ**! فإلى أن يقترب الموت، وما دام الشيطان حيّاً، فالإنسان في **خطر**! فبالله تعالى نستعيذ.

الإعراض عن الله يكدّر العيش

♦ ما أعظمَ أن يهبَ اللهُ تعالى الإنسانَ من **القوّة واليقين** ما يجعله لا **يحزن** لغير الله عزّ وجلّ. إنَّ هذا ممّا يتطلّب الكثير من الشجاعة، والاستقامة، والإيمان.

♦ لا **طُمأنينة** للإنسان إلا **بالتوكّل وذِكر الله عزّ وجلّ**. وما من شيءٍ ينغّص العيش ويكدّره كالغفلة والإعراض عن ذكره تعالى.

♦ هل وجدنا السبيل إلى الله وعبادته لنكون من السائرين فيه؟! تكليفُ المؤمن هو **نورٌ** يُلقى في قلبه. وعندما يعمل حسب **تكليفه**، حتّى السجن والتعذيب يهونان عليه.

♦ ليتنا ندرك أنّ **عالَم الإمكان عَدَمٌ مَحْض**؛ ولا نفترض لهذا العَدَم كلّ هذه القيمة؛ ولا **نتنازع** كلّ هذا النزاع على هذا اللاشيء!

♦ إذا كان **لقاءُ الله** في الآخرة مُمكناً، فهو في الدنيا ممكنٌ أيضاً بنفس معيار الإمكانيّة؛ إذ إنّه لا يحتاج إلى البَصَر، **وإنّما إلى البصيرة**.

♦ لم يأتِ الأنبياءُ والأئمّة عليهم السلام ليَمنعوا الناس من التمتّع بنِعم الدنيا، بل جاؤوا ليعلّمونا كيف **ندير أمورنا لنعيشَ بسعادة وبعزّة** فيها.

الملف

الإمام محمّد بن عليّ الجواد

تاسعُ الأسباط الاثنَي عشر عليهم السلام

اقرأ في الملف

استهلال	
مختصر من سيرة الإمام الجواد عليه السلام	إعداد وتنسيق: «هيئة التحرير»
حكمةُ المعصوم	الإمام الخامنئي دام ظلّه
من كرامات الإمام الجواد عليه السلام	إعداد: خليل سرور
شبيهُ الأنبياء	الشيخ حسين كوراني

من فضائل كلمات الإمام محمد التقي الجواد عليه السلام:

عزّ المؤمن غناه عن الناس.

استهلال

الدُّعاء لِصاحِبِ الأمرِ عقِبَ الفرائضِ

رُوي عَنِ الإمام الجَواد عَليهِ السَّلام أنَّهُ قال:

إذا انصرفتَ مِن صلاةٍ مكتوبةٍ فقُل:

رَضيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبالإسْلام دِينًا، وَبالقُرآنِ كِتابًا وَبمحمّدٍ نَبيًّا، وَبعَليٍّ، وَالحَسَنِ، وَالحُسَينِ، وَعَليّ بن الحُسَينِ، وَمُحَمّدِ بن عَليٍّ، وَجَعْفَرِ بنِ مُحَمّدٍ، وَمُوسَى بنِ جَعْفَرٍ، وَعَليّ بنِ مُوسَى، وَمُحَمّد بنِ عَليٍّ، وَعَليّ بنِ مُحَمّدٍ، وَالحَسَن بنِ عَليٍّ، وَالحُجّةِ بنِ الحَسَنِ بنِ عَليٍّ... أئِمّتي. اللهُمّ وَليّكَ الحُجّةَ فاحْفَظْهُ مِن بَينِ يَدَيهِ، وَمِن خَلفِهِ، وَعَن يَمينِهِ، وَعَن شِمالِهِ، وَمِن فوقِهِ، وَمِن تَحتِهِ، وَامدُد في عُمرِهِ، وَاجْعَلهُ القائِمَ بِأمرِكَ وَالمُنتَصِرَ لِدينِكَ، وَأرِهِ مَا يُحِبُّ وَتَقَرُّ بِهِ عَينُهُ في نَفسِهِ، وَفي ذُرِّيّتِهِ، وَأهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَفي شِيعَتِهِ، وَفي عَدُوِّهِ، وَأرِهِم مِنهُ مَا يَحْذَرُونَ، وَأرِهِ فيهِم مَا يُحِبُّ وَتَقَرُّ بِهِ عَينُهُ، وَاشْفِ صُدُورَنا وَصُدُورَ قَومٍ مُؤمِنينَ.

تذكرة الفقهاء للعلامة الحلّي: ٣/٢٦٧ مسألة ٢١٧

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

مختصَر من سيرته الشريفة

إعداد وتنسيق: «هيئة التحرير»

* وُلد الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام، يومَ الجمعة، في العاشر من شهر رجب سنة ١٩٥ للهجرة في المدينة المنوّرة، وقيل في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، ولكن وردت في بعض الأدعية المرويّة عن الناحية المُقدّسة الإشارة إلى أنّ ولادته عليه السلام كانت في رجب: «**اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِالمَوْلودَيْنِ في رَجَبٍ؛ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثّاني وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ المُنْتَجَبِ**».

اسمه الكريم: محمّد، وكُنيته المشهورة أبو جعفر؛ ويقال: أبو جعفر الثاني للتمييز بين الحديث عنه وعن الإمام الباقر عليهما السلام.

ألقابه: «التقيّ» و«الجواد»، وقيل أيضاً: «المُختار»، و«المُنتجب»، و«المُرتضى»، و«القانع»، و«العالِم»...

والده الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ووالدته السيّدة سبيكة عليها السلام، وسمّاها الإمام الرضا عليه السلام «الخَيزران». وكانت من أهل النُّوبَة، وهي قبائل تسكن منطقة تمتدّ على ضفّتي نهر النيل أقصى شمال السودان وأقصى جنوب مصر، ومن قبيلة مارية القبطيّة أُمّ إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت أفضل نساء زمانها، وقد أشار إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله، عند تعداده أسماء الأئمّة الاثني عشر، فقال: «**بِأَبي ابْنُ خيرَةِ الإماءِ النُّوبِيَّةِ الطَّيِّبَة**».

* وأمّا كيفيّة ولادته عليه السلام، فترويها السيّدة حكيمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام، قالت: «لمّا حَضَرَت ولادةُ الخَيزُران أدخَلَني أبو الحسن الرضا عليه السّلام وإيّاها بيتاً (أي غرفة) وأغلق علينا الباب والقابلةُ معنا، فلمّا كان في جوف الليل انطفأ المصباح، فاغتَمَمنا لذلك، فما كان بأسرعَ أن بدر أبو جعفر (الجواد) عليه السّلام فأضاء البيتَ نوراً! فقلتُ لأمّه: قد أغناكِ اللهُ عن المصباح.

فقعد في الطَّسْت، وقبض عليه وعلى جسده شيء رقيق شِبهُ النور.. فلمّا أصبحنا جاء الرضا عليه السلام فوضعه في المهد وقال لي: **الْزَمي مَهْدَهُ**.

قالت: فلمّا كان اليوم الثالث، رفع بصره إلى السماء ثمّ لمح يميناً وشمالاً، ثمّ قال: **أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ**. فقمتُ رَعِدةً فَزِعةً وأتيتُ الرضا عليه السّلام فقلت له: رأيت عجباً!

فقال (أي الإمام الرضا عليه السّلام): **وما الّذي رَأَيْتِ؟**

فقلتُ: هذا الصبيُّ فعَلَ الساعةَ كذا وكذا.

قالت: فتبسّم الرضا عليه السّلام وقال: **ما تَرَيْنَ من عَجائِبِهِ أَكْثَر**».

(الثاقب في المناقب لابن حمزة: ص ٥٠٤/ ح ١)

* وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**قد وُلِدَ شبيهُ مُوسى بنِ عِمْرانَ فالِقِ البِحارِ، فَيَبْكي عَلَيْهِ أَهْلُ السَّماءِ، وَيَغْضَبُ اللهُ تَعالى على عَدُوِّهِ وَظالِمِهِ، فَلا يَلْبَثُ إلاّ يَسيراً حَتّى يُعَجِّلَ اللهُ بِهِ إلى عَذابِهِ الأَليمِ وَعِقابِهِ الشَّديدِ**».

* وفي (إثبات الهداة) للحرّ العامليّ أنّ الفضل بن سهل بعث إلى محمّد بن أبي عباد كاتب الإمام الرضا عليه السلام يسأله عن مدى علاقة الإمام الرضا بولده الجواد عليهما السلام، فأجابه: «ما كان الرضا يذكر محمّداً إلا بكُنيته، يقول: **كَتَبَ لي أبو جَعْفَر**. وكنتُ أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وكان آنذاك بالمدينة، وهو صبيّ، وكانت كُتُبُ أبي جعفر ترِد إلى أبيه وهي في منتهى البلاغة والحُسن..».

من مناقبه عليه السلام

* روى العلّامة المجلسيّ وغيره أنّ عمر الإمام الجواد عليه السلام كان تسع سنين عند وفاة أبيه، وقيل سبع سنين. ولمّا استُشهد أبوه عليه السّلام

من نهج المدارة في قادة المسيرة

كان في المدينة، وشكّ بعضُ الشيعة في إمامته؛ لصغر سنّه حتّى حجّ العُلماء والأفاضل والأشراف وأماثل الشيعة من أطراف العالم، ثمّ جاؤوا إليه عليه السلام بعد إتمام مناسكهم، فزالت شبهاتهم وشكوكهم بعد ما رأوا غزارة علمه وكثرة معاجزه وكراماته، وأقرّوا بإمامته.

* وفي (عيون المعجزات) للشيخ حسين بن عبد الوهّاب، «أنّه لمّا قُبض الرِّضا عليه السلام كان سنُّ أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين النّاس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريّان بن الصَّلت، وصفوان بن يحيى، ومحمّد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجّاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشّيعة وثقاتهم، في دار عبد الرحمن بن الحجّاج... يبكون ويتوجّعون من المصيبة، فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء! مَن لهذا الأمر وإلى مَن نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر عليه السلام.

فقام إليه الريّان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تُظهر الإيمان لنا، وتُبطن الشّكّ والشِّرك. إن كان أمره من الله، جلّ وعلا، فلو أنّه كان ابنَ يومٍ واحد، لكان بمنزلة الشّيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحدٌ من النّاس، هذا ممّا ينبغي أن يفكّر فيه. فأقبلت الجماعة عليه تعذله وتوبّخه.

وكان وقت الموسم، فاجتمع فقهاء بغداد والأمصار وعلماؤهم، وعددهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحجّ، وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فلمّا وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنّها كانت فارغة، ودخلوها

لم يكن الإمام الرضا يذكر الجوادَ عليهما السلام إلا بكُنيته، وكان يقول أيّامَ إقامته بخراسان: كَتَبَ لي أبو جَعْفَر

وجلسوا على بساطٍ كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (ابن الإمام الكاظم عليه السلام)، فجلس في صدر المجلس وقام منادٍ، وقال: هذا ابنُ رسول الله فمَن أراد السؤال فليَسأله.

فسُئل عن أشياء، أجاب عنها بغير الواجب، فوَرَد على الشّيعة ما حيّرهم وغمّهم. واضطرب الفقهاء، وقاموا وهمّوا بالانصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يَكْمُل لجواب المسائل، لما كان من عبد الله ما كان من الجواب بغير الواجب.

ففُتح عليهم بابٌ من صدر المجلس ودخل موفّق الخادم وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه، وسلّموا عليه، فدخل صلوات الله عليه... وجلس وأمسك النّاسُ كلّهم، فقام صاحب المسألة، فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحقّ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمّك عبد الله أفتى بِكَيْتِ وكَيْتِ، فقال: **لا إلهَ إلّا اللهُ، يا عَمُّ، إنّهُ عَظيمٌ عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقِفَ غَداً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيقولَ لَكَ: لِمَ تُفْتي عبادي بما لم تَعلَمْ، وفي الأُمّةِ مَنْ هو أعْلَمُ مِنْكَ؟**».

* وقد رُوي أنه عليه السلام أجاب عن ثلاثين ألف مسألة غامضة في مجلسٍ واحد أو مجالس متوالية.

* وفي (دلائل الإمامة) للطبري، قال: «حجّ إسحاق بن إسماعيل في السنة التي خرجت الجماعة إلى أبي جعفر عليه السلام. قال إسحاق: فأعددتُ لي في رقعةٍ عشر مسائل لأسأله عنها، وكان لي حمل (أي كانت امرأته حاملاً). فقلتُ: إذا أجابني عن مسائلي سألتُه أن يدعو الله لي أن يجعله ذكراً، فلمّا سأله الناس قمتُ والرقعةُ معي لأسأله عن مسائلي، فلمّا نظر إليَّ قال لي: **يا**

أبا يَعْقوبَ، سَمِّهِ أَحْمَدَ. فوُلد لي ذكرٌ وسمّيته أحمد..».

شهادته عليه السلام

لمّا استدعى المأمون الإمام الجواد عليه السلام بعد وفاة أبيه إلى بغداد وزوّجه ابنته، مكث الإمام ببغداد مدّة، فضاق صدره من سوء معاشرة المأمون، فاستأذنه في الذهاب إلى الحجّ، فتوجّه إلى بيت الله الحرام، ومن هناك عاد إلى مدينة جدّه وبقي هناك إلى أن مات المأمون، واغتصب الخلافة بعده أخوه المعتصم. وكان ذلك في السابع عشر من شهر رجب سنة (٢١٨ للهجرة). فلمّا استولى المعتصم على الملك، وسمع فضائل الإمام الجواد عليه السلام ومناقبه، وبَلَغَهُ غزارةُ عِلمه، اضطرمت نارُ الحسد في قلبه، وصمّم على القضاء على الإمام عليه السلام فاستدعاه إلى بغداد؛ فلمّا توجّه الإمام إلى بغداد جعل وصيّه وخليفته ابنه عليّ الهادي عليه السلام، ونصَّ على إمامته عند كبار الشيعة وثقات الأصحاب، وسلّم إليه كتب العلوم الإلهية والأسلحة التي كانت للنبيّ ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام.

وقد أخبر الإمام الجواد عليه السلام بعض أصحابه بأنّه غيرُ عائدٍ من رحلته هذه، فقد روى محمّد بن القاسم، عن أبيه قال: لمّا خرج – أبو جعفر الإمام الجواد عليه السلام – من المدينة في المرّة الأخيرة، قال: «**ما أَطْيَبَكِ يا طِيبَةُ! فَلَسْتُ بِعائِدٍ إِلَيْكِ**».

وبُعيد ذلك أخبر الإمام عليه السلام أصحابه في السنة التي تُوفّي فيها بأنّه راحلٌ عنهم في عامه. فعن محمّد بن الفرج الرخجيّ، قال: كتب إليَّ أبو جعفر عليه السلام: «**احْمِلوا إِلَيَّ الخُمْسَ فَإِنّي لَسْتُ آخِذَهُ مِنْكُمْ سِوى عَامِي هَذا**». فقُبض في تلك السنة.

ثمّ ودّع الإمام أهله وولده، وترك حرمَ جدّه صلّى الله عليه وآله، وذهبَ إلى بغداد بقلبٍ حزين، ودخلها يوم

حُكْمُ الإمام الجواد عليه السلام في (قضية السارق) أوغرَ صدور الحُسّاد عليه، فما زالوا بالمعتصم حتّى قتله عليه السلام

الثامن والعشرين من شهر محرّم سنة (٢٢٠ للهجرة) وقتله المعتصم في أواخر هذه السنة بالسُّمّ.

وكان قد شاع بين الناس مبلغُ علم الإمام محمّد الجواد وتصاغُرُ كبار الفقهاء والمحدّثين بين يديه، وكان أحد المؤثّرين على المعتصم قاضي قضاته أبي دُؤاد الإياديّ السجستاني. ولقد حقد أبو دُؤاد على الإمام الجواد أشدّ ما يكون من الحقد، وذلك حينما أخذ المعتصم برأيه في مسألة فقهية وأهمل آراء بقية الفقهاء، فتميّز أبو دُؤاد غيظاً وغضباً على الإمام عليه السلام، وسعى إلى الوشاية به، وتدبير الحيلة في قتله.

وبيان ذلك ما رواه زرقان الصديق الحميم لأبي دُؤاد قال: إنّه رجع من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك..

قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمّد بن عليّ (الجواد)، فسألنا (المعتصم) عن القطع؛ في أيّ موضعٍ يجب أن يُقطَع؟

فقلت: من الكرسوع لقول الله في التيمّم: ﴿..فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ..﴾، واتّفق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأنّ الله قال: ﴿.. وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ..﴾.

قال: فالتفت إلى محمّد بن عليّ (الجواد) فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

قال: **قد تكلّمَ القَوْمُ فيه**..

قال: دعني ممّا تكلّموا به، أيّ شيءٍ عندك؟

قال: **اعْفِني مِنْ هَذا**...

قال: أقسمتُ عليك بالله لمّا أخبرتني بما عندك فيه.

فقال: **إذا أَقْسَمْتَ عَلَيَّ بِالله إِنّي أَقولُ: إِنَّهُمْ أَخْطأوا فيهِ السُّنّة، فإنَّ القَطْعَ**

من لم تعرف الموارد، أعيته المصادر.

يَجِبُ أنْ يَكونَ مِنْ مَفْصِلِ أُصولِ الأَصابِعِ فَيُتْرَكَ الكَفُّ.

قال: لِمَ؟

قال: **لِقَوْلِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: السُّجودُ على سَبْعَةِ أَعْضاء: الوَجْهِ واليَدَيْنِ والرُّكبَتَيْنِ والرِّجْلَيْنِ، فإذا قُطِعَتْ يَدُهُ مِنَ الكُرْسوعِ أوِ المِرْفَقِ لم يَبْقَ له يَدٌ يَسْجُدُ عَلَيْها، وَقالَ اللهُ تَبارَكَ وَتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ..﴾، يَعْني بِهِ هذِهِ الأَعْضاءَ السَّبْعَةَ الّتي يَسْجُدُ عَلَيْها ﴿..فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وما كانَ للهِ لَمْ يُقْطَعْ.**

قال: فأَعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

قال زرقان: إنّ أبا دُؤاد قال: صرتُ إلى المعتصم بعد ثالثة فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة، وأنا أكلّمه بما أعلم أنّي أدخلُ به النار.

قال: ما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمرٍ واقعٍ من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر المجلسَ أهلُ بيته وقوّاده ووزراؤه، وكتّابه، وقد تسامعَ الناسُ بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك أقاويلهم كلّهم، لقول رجلٍ يقول شطرُ هذه الأمّة بإمامته، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه، ثمّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!

قال: فتغيّر لونه، وانتبه لما نبّهتُه له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً..

* وأمّا كيفية شهادته عليه السلام، فقد وقع الخلاف فيها، لكن الأشهر أنّ زوجته أُمّ الفضل بنت المأمون سمّته بعد تحريض عمّها المعتصم؛ لأنّها كانت تضمر العداء والبغض للإمام؛ حسداً منها لأُمّ الإمام عليّ النقيّ الهادي عليه السلام، فكانت دائمة الشكاية منه عند أبيها وهو

رُوي عن الإمام الجواد عليه السلام قوله: «الفرجُ بعدَ المَأْمونِ بثلاثينَ شَهْراً»، وكانت شهادته بعد سنتين ونصف السنة من موت المأمون

لا يستمع إليها، وقد عزم بعد أن قتل الإمام الرضا عليه السلام على ترك أذى أهل بيت الرسالة عليهم السلام وعدم التعرّض لهم للحفاظ على المُلك.

وكيف ما كان، فقد نقل عن كتاب (عيون المعجزات): أنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام، وأشار على ابنة المأمون بأن تسمّه؛ لأنّه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدّة غيرتها عليه، فأجابته إلى ذلك وجعلت سُمّاً في عنب رازقيّ ووضعته بين يديه.

فلمّا أكل منه ندمتْ وجعلت تبكي، فقال: «**ما بُكاؤُكِ؟ وَاللهِ لَيَضْرِبَنّكِ اللهُ بِفَقْرٍ لا يَنجَبِرُ، وبَلاءٍ لا يَنْسَتِرُ**». فماتت بعلّة في جوفها، حيث صار فيه ناسور (ورَم) فأنفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة واحتاجت إلى الاسترفاد والاستعانة بمال الآخرين.

ثم غُسّل الإمام عليه السلام وكُفّن ودُفن في مقابر قريش خلف رأس جدّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وصلّى عليه ظاهراً الواثق بالله، ولكنّ الحقيقة هي أنّ الإمام عليّ النقي الهادي عليه السلام جاء من المدينة بطيّ الأرض وتولّى أمر تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه.

ووقع الخلاف في تاريخ استشهاد الإمام الجواد عليه السلام، والأشهر أنّه استُشهد في آخر شهر ذي القعدة سنة (٢٢٠ للهجرة)، وقيل غير ذلك. وكان ذلك بعد سنتين ونصف من هلاك المأمون كما قال الإمام نفسه: «**الفرجُ بعدَ المَأْمون بثلاثينَ شَهْراً**». وعمره الشريف خمسٌ وعشرون سنة وبضعة أشهر. وهو أصغر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام سنّاً.. وقد ضُبط في بعض المصادر بخمس وعشرين سنة، وشهرين، وثمانية عشر يوماً.

حكمةُ المعصوم

الإمام الجواد عليه السلام في كلام وليّ أمر المسلمين دام ظلّه

*** في هذا النصّ لسماحة السيد القائد الخامنئي دام ظلّه، مقاربة معمّقة للمزايا الرفيعة التي وسمتْ الحياة الشريفة للإمام محمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام. وقد عرض السيد القائد إلى السيرة الذاتية للإمام عليه السلام، مركّزاً على مجموعة من المحطّات التي تشكّل بمجموعها شخصيّة الإمام المعصوم والكيفيّة التي واجه فيها حاجات الأمّة؛ سواء في بيان وشرح الوحي المقدّس، أو في الميدان السياسي والاجتماعي، وطريقة تعاطيه مع السلطة العبّاسية واستبدادها.**

«شعائر»

حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام استمرارٌ لخطّة أبيه الرضا عليه السلام، ويبدو ذلك من علاقة المأمون نفسها بالإمام الجواد عليه السلام ومحاولة المأمون تقريبَ الإمام الجواد وإدخاله في أروقة الحكم، استمراراً لمؤامرته لتمييع حركة التشيّع وقضيتها ضمن إطار الخلافة العبّاسيّة، ومستهدفاً بذلك حجز الإمام وعزله عن قواعده الشعبية بشكل لا يثير الأُمّة، وخصوصاً وهو يعيش مُعزّزاً مُكرّماً في قصور المأمون ومبانيه الفخمة، وبعدها سوف يجعله تحت رقابة القصر المحكمة والتي تحصي عليه كلّ تحرّكاته وسكَناته بدقّة تامّة.

ولهذا بادر المأمون إلى خطّته القديمة في الظهور أمام الناس كشخصٍ مُشفقٍ مُحبٍّ للإمام عليه السلام، فزوّجه ابنته أمُّ الفضل لكي يضمن تأييد الإمام له، ولذلك عرض عليه البقاء في مركز الخلافة، لكنّ الإمام الجواد أصرّ على الرجوع إلى المدينة، ليُحبط خطّة المأمون في كسب تأييده لخلافته المغتصبة، فهي من جانب الإمام عليه السلام استنكار لخلافة المأمون وإيحاء للآخرين بعدم شرعيّة حكمه، ومن جانب آخر إثبات لإمامته وانفصال أطروحته عن أطروحة السلطة الحاكمة. فقبول الإمام عليه السلام بالبقاء مع المأمون في بلاطه وحاشيته معناه أن تندمج الأطروحتان، وتبدو للجمهور أنّهما غير متناقضتين ما يُضيّع على أطروحة الإمام معالمها الفكرية الخاصة التي تميّزها عن أطروحة الحاكم المنحرف.

والإمام الجواد عليه السلام استمرّ في خط أبيه، في تخطيطه الفكري وتوعيته العقائدية، فكان في المدينة يجمع عنده الفقهاء من بغداد والأمصار ليسألوه ويستنيروا بهديه، «وكان وقت موسم الحجّ، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحجّ وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر».

وكان الإمام الجواد عليه السلام يمارس مهام مسؤولياته الجهاديّة لتوسيع قواعده الشعبية، حتّى سمع به المعتصم واستدعاه إلى بغداد بالقوّة ليغدر به، ويُنهي حياته الشريفة بالسُّم، وقال ابن بابويه: «سمّه المعتصم».

فالإمام عليه السلام، إذاً، كان يشكّل خطراً على استمرار السلطة، ويسلّط الأضواء على مواضع انحرافهم وبُعدهم عن الإسلام، وليس ذلك وحده، بل كان الكلّ يعرف منزلته وتفوّقه العلمي والفكري على صِغر سنه وتحدّيه للفقهاء وللقضاة في عصره، «ففي مجلس واحد سألوه عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم فيها وله تسع سنين».

ركاكة الشبهات لاستقلاله عن الإمامة

قال المفيد: «إنّ المأمون كان قد شغف بالجواد لِما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه من الحكمة والعلم والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحدٌ من مشايخ أهل الزمان».

وقال الطبرسي في (إعلام الورى) «إنّه عليه السلام كان قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكم والآداب، مع صغر سنّه، منزلةً لم يساوه فيها أحدٌ من ذوي السنّ؛ من السادة وغيرهم».

نُنهي حديثنا عن عمل الإمام الجواد وتخطيطه بهذا القدر المختصر، وذلك لتشابه دورِهِ دورَ أبيه الرضا عليه السلام، ولنقف على دراسة ظاهرة إعجازية، وجدت في الإمام الجواد عليه السلام وقد أثارت حولها كثيراً من التساؤلات والأقاويل. ألا وهي ظاهرة تولّيه مرجعيّة الإمامة والقيادة وهو في سنّ الطفولة، وكان عمره آنذاك ثماني سنين.

الإمام عليه السلام وصِغر سنّه

هي من الظواهر الإعجازية التي وجدت في الإمام الجواد عليه السلام، والتي كان لها أثرها الكبير في واقع الحكّام آنذاك.

وقد أجمعت المصادر التاريخية أنّ الإمام الجواد توفّي أبوه الرضا عليه السلام وعمره «ثماني سنين أو سبع سنين وأربعة أشهر»، وتولّى الإمامة بعد أبيه وهو في سنّ الطفولة.

هذه الظاهرة وُجدت لأوّل مرّة في حياة الأئمّة عليهم السلام في شخص الإمام الجواد عليه السلام، وكان تحدّياً صارخاً للحكّام المنحرفين ورهاناً أكيداً وإعجازياً على حقيقة امتداد خطّ إمامة الأئمّة عليهم السلام ومرجعيّتهم، هذا الخطّ الذي يمثّله الإمام الجواد عليه السلام.

ولو اعتمدنا حساب الاحتمالات لوجدنا أنّ صغر سنّ الإمام عليه السلام وحده سببٌ كافٍ للاقتناع

تعمّدَ المأمون تسليط الأضواء على الإمام الجواد عليه السلام، وجعَلَه عُرضةً للامتحان بمحضرٍ من كبار الفقهاء، محاولاً بذلك التقليل من شأنه عليه السلام، لكنّه أخفق بقوّة

بحقيقة إمامته وتمثيله لخطّ إمامة أهل البيت، وإلّا كيف نُفسّر توليه الزعامة الشيعيّة في كلّ المجالات النظرية والعملية.

ولربّما يتبادر افتراض يقول إنّ الطائفة الإسلامية الشيعيّة ربّما لم ينكشف لديها، بوضوح، إمامة وزعامة هذا «الصبيّ» لأهل البيت، ولربّما زادوا هذا الافتراض زعماً آخر كما جاء على لسان الباحث أحمد أمين «باختفاء الأئمّة عن الأعين، واكتفائهم بالدعوة سرّاً، ليبقى العطف عليهم في الناس».

وردُّنا على هذا الافتراض والزعم، هو أنّ زعامة الإمام الجواد عليه السلام كانت زعامة مكشوفة وعلنية أمام كلّ الجماهير، ولم تكن زعامة أئمّة أهل البيت في يومٍ ما زعامة مُحاطة بالشرطة أو الجيش وأبهّة الملك والسلطان، بحيث تحجب الزعيم عن رعِيّته، ولم تكن زعامتهم عليهم السلام زعامة دعوة سرّيّة من قبيل الدعوات الصوفية والفاطمية، كي تحجب بين قائد الدعوة وبين قواعده الشعبية، بل كان الإمام عليه السلام يمارس زعامة مكشوفة إلى حدٍّ ما، وكانت القواعد الشعبية المؤمنة بزعامته وإمامته تتفاعل معه مباشرة في مسائلها الدينية وقضاياها الاجتماعية والأخلاقية.

ولمّا استقدمه المأمون إلى مركز خلافته في بغداد، أصرّ الجواد عليه السلام على الاستئذان والرجوع إلى المدينة، وقد سمح له المأمون بذلك، وقد قضى أكثر عمره الشريف هناك.

فالجواد عليه السلام كان يتحرّك بفاعلية ونشاط على المسرح الاجتماعي وهو مكشوف أمام كلّ المسلمين بما فيهم الشيعة الذين يؤمنون بزعامته وإمامته.

حتّى أن المعتصم تضايق من نشاطه وتحرّكه، فطلبه وأحضره إلى بغداد، ولما حضر أبو جعفر عليه السلام

إلى العراق لم يزل المعتصم وجعفر ابن المأمون يدبّرون ويعملون الحيلة في قتله، ويقول المفيد: «فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ٢٢٠ هجرية، وتوفّي بها في ذي القعدة من هذه السنة».

وفي (روضة الواعظين): «مات ببغداد قتيلاً مسموماً».

وعلى ضوء هذه الحقائق تسقط دعوى الفرض الذي يقول بأنّ الجواد عليه السلام لم تكن زعامته مكشوفة أمام المسلمين عامّة وأمام شيعته خاصّة، خلافاً لطبيعة العلاقة التي نشأت منذ البداية بين قادة أهل البيت وقواعدهم الشعبية، وخصوصاً أن المأمون قد سلّط الأضواء على إمامة الجواد وعِلمه، فقد عرّضه إلى امتحان من أجل إفحامه وفضّ الناس عنه، وجمع بينه وبين كبار العلماء أمام العباسيّين فتبيّن تفوّق الجواد عليه السلام العلمي والفكري على صِغر سنّه.

وقد طلب المأمون من يحيى بن أكثم، وهو من كبار المفكّرين آنذاك أن يطرح على الإمام مسألة يقطعه فيها.

فقال له: أتأذن لي، جُعلت فداك، في مسألة؟

فقال له أبو جعفر: **سلْ ما شِئْتَ**.

قال يحيى: ما تقول في مُحْرِمٍ قتلَ صيداً؟

فقال له الإمام عليه السلام: «**قَتَلَهُ في حِلٍّ أو حَرَمٍ؟ عالِماً كان المُحْرِمُ أمْ جاهِلاً؟ قتلَهُ عَمْداً أو خَطَأً؟ حُرّاً كانَ أمْ عَبداً؟ صَغيراً كانَ أو كبيراً؟ مُبْتَدِئاً بالقتلِ أمْ مُعيداً؟ من ذواتِ الطَّيْرِ كانَ الصَّيْدُ أمْ من غَيْرِها؟ من صغارِ الصَّيْدِ كان أم من كِبارِه؟ مُصِرّاً عَلى ما فعلَ أم نادِماً؟ في اللَّيْلِ كان قَتْلُهُ للصَّيْدِ أم في النَّهار؟ مُحْرِماً كان بالعُمرةِ إذ قَتَلَهُ أو بالحجِّ كان مُحْرِماً؟**».

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهلُ المجلس أمره.

وهناك افتراضات أخرى ربما تُثار في هذا المجال نعرضها على التوالي:

> **لم يكن موضوع الإمامة يوماً من العناوين المُبهَمة عند الشيعة، بل هو عندهم من أوضح المفاهيم في جميع معالمه وأبعاده وخصوصياته**

* **الافتراض الأوّل**: يقول إنّ المستوى العلمي والفكري للطائفة الشيعيّة وقتئذٍ كان بدرجة يُمكن معها أن يغفلوا هذا الموضوع، أو بشكل آخر، إنّ مستواهم الفكري والعقلي والروحي هو الذي دفعهم إلى التصديق والإيمان بإمامة طفل وهو ليس بإمامٍ حقاً!

وهذا الفرض ساقط، يكذّبه الواقع التاريخي الثابت للطائفة الشيعيّة، إذ أنّ مستواها العلمي والفقهي كان موضع إكبار وتقدير من قِبَلِ كلّ المدارس الفكرية المنافسة الأخرى. فالمدرسة الفكرية الضخمة التي خلّفتها جهود الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كانت من أكبر مدارس الفكر الإسلامي التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك، فهناك جيلان قد تعاقبا وهم من تلاميذ الصادق والكاظم عليهما السلام وكانا على رأس الطائفة الشيعيّة في ميادين الفقه والتفسير والكلام والحديث وكلّ جوانب المعرفة الإسلامية.

وعلى ضوء هذه الحقيقة، لا يمكن الافتراض أبداً بأنّ المستوى الفكري والعلمي للطائفة كان بالمقدار الذي يُغفل موضوعاً مُهمّاً وخطيراً كهذا، فكيف تغفل طائفة بكاملها وفيها هذه المدرسة التي كانت تُعدّ قِبلةً للفكر الإسلامي المنفتح وتتخيّل أو تتصوّر غفلة أنّ الإمامة في شخص طفل صغير وهو ليس بإمامٍ حقّاً.

وخصوصاً - وكما قدّمنا - أنّ إمامة الجواد عليه السلام وزعامته لقواعده الشعبية كانت زعامة مكشوفة لكلّ المسلمين، وبإمكان أيّ فرد منهم أن يتحدّاها، ويمتحن صدقها، وخصوصاً الطائفة الشيعيّة التي كانت تمثّلها في العالم الإسلامي أكبر المدارس الفكرية وأضخمها على الإطلاق، فقد امتدّت مدرستها في الكوفة وقم والمدينة، وكانت هذه المدارس والمراكز الفكرية على صِلة

بالإمام عليه السلام تستفتيه وتسأله، وتنقل إليه الحقوق والأموال من مختلف الأطراف، فكيف نتصوّر أنّ هذه العقلية المنفتحة أو مثل هذه المدرسة الضخمة تغفل عن حقيقة طفل لا يكون إماماً.

* **الافتراض الثاني**: إنّ الطائفة الشيعيّة عبر تاريخها المديد لم تكن تملك تصوّراً واضحاً لمفهوم الإمام والإمامة، بل كانت تتصوّر الإمام مجرّد رقم في تسلسل نَسَبي، فهي بالتالي تجهل الإمام والشروط اللازمة للإمامة!

نقول إنّ هذا الافتراض مردود، لأنّ التشيّع كأساسٍ يقوم على المفهوم الإلهي العميق لفكرة الإمامة هو من (البديهيّات) ومن أبسط مفاهيم التشيّع، فالإمام في مفهومه الشيعي العامّ هو ذلك الإنسان الفذّ، (الكامل) بمعارفه وأقواله وأعماله وأخلاقه. وهذا المفهوم، وهو ما كان واضحاً في معالمه وأبعاده عند الطائفة الشيعيّة، قد بشّرت به آلاف النصوص التي توالت منذ عهد الإمام عليّ عليه السلام إلى عهد الإمام الرضا عليه السلام، حتى أنّ كلّ تفاصيل التشيّع وخصوصيّاته أصبحت واضحة في أذهان الشيعة ووعيهم.

تقول إحدى الروايات بهذا الصدد: دخلنا المدينة بعد وفاة الرضا عليه السلام نسأل عن الخليفة بعد الإمام الرضا، فقيل إنّ الخليفة في قرية قريبة من المدينة، (قال الراوي): فخرجت إلى تلك القرية فدخلتها، وكان فيها بيتٌ للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، انتقل إلى الإمام الجواد عليه السلام بالوراثة، فرأيت البيت غاصّاً بالناس ورأيت أحد أخوة الرضا عليه السلام جالساً متصدّراً المجلس، وسمعتُ الناس يقولون عنه - أي عن أخي الرضا عليه السلام - بأنّه ليس هو الإمام، لأنّهم سمعوا من الأئمّة عليه السلام: أنّ الإمامة لا تكون في أخوَين بعد الحسن والحسين عليهما السلام.

نستنتج من هذا الحديث، أنَّ كلّ تفاصيل التشيّع وخصوصيّاته ومفاهيمه كانت واضحة وجليّة عندهم، ما يكذّب زعم أصحاب هذا الافتراض.

* **الافتراض الثالث والأخير**: إنّ الأمر لا يعدو كونه تفانياً وإصراراً على الغرور والباطل من قبل طائفة الشيعة ومُحبّيه عليه السلام.

ونقول إنّ هذه الدعوى باطلة، ليس فقط من وجهة إيماننا بورع الطائفة الشيعيّة وقدسيّتها، وإنّما نؤكّد القول من خلال تلك الظروف الموضوعيّة التي أحاطت بهذه الطائفة المضطهدة، إذ أنّه لم يكن التشيّع في يوم من الأيّام في حياة هذه الطائفة المؤمنة طريقاً للأمجاد والسلطان أو الإثراء، بل كان التشيّع على مدار التاريخ طريقاً إلى التعذيب والحرمان والسجون والاضطهاد، بل وكان طريقاً لأن يعيش معها (الموالي) حياة خوف وتضحية ومراقبة دائمة في كلّ خطوة يخطوها.

يقول الإمام الباقر عليه السلام عن تلك المحن والبلايا التي نزلت بالشيعة وخاصة أيّام الحكم الأمويّ: «**وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بلدةٍ، وقُطِعَتِ الأَيدي وَالأَرْجُلُ عَلى الظِّنَّةِ وَالتُّهْمَةِ، وَكُلُّ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا أَوِ الانْقطاعِ إِلَيْنا سُجنَ أَوْ نُهِبَ مالُهُ وَهُدِّمَتْ دارُهُ**».

فافتراض التفاني والإصرار على الباطل، لم يكن في أيّ وقت من الأوقات من أجل مطمح ماديّ أو دنيويّ. ولماذا، بعد ذلك، كلّ هذا التفاني وإصرار علماء الطّائفة وفقهائها، على إمامة باطلة زائفة، مع أنّ تفانيهم في الإمام عليه السلام سيكلّفهم ألواناً قاسية من الحرمان والعذاب.

لذلك لا يمكننا تفسير تفاني الشيعة في الإمامة، إلّا أن يكون ذلك ناشئاً عن اعتقاد حقيقي بهذه الإمامة ووعي عميق لشروط انعقادها.

ومن هنا يجب القول إنّ كلّ هذه الافتراضات لا يمكن قبولها لمن اطّلع على حقيقة تاريخ هذه الطائفة وظروفها الموضوعيّة، وبالخصوص الظروف والملابسات التي أحاطت بإمامة الجواد عليه السلام.

وبعد عرض هذه الافتراضات وردّها، لا يبقى لدينا إلا الفرض الوحيد المطابق للواقع؛ وهو كون الجواد صلوات الله عليه هو الإمام حقّاً.

استعد، تصبّ أو تكد (المؤدة: الثاني)

من كرامات الإمام الجواد عليه السّلام

الولاية التكوينية والإخبار بالمغيَّبات

■ أعدّها ونسّقها: خليل أحمد سرور

* لعلّ من المزايا الربّانيّة التي اختزنتها شخصيّة الإمام محمّد الجواد عليه السلام، ما فاضت به من علوم ومعارف إلهيّة لا ينالُها إلا الراسخون في العلم من أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

في المقالة التالية، ننقل سلسلة مختارة من عيون أخبار الإمام الجواد عليه السلام، تُشير بجملتها إلى معاجزه في الولاية التكوينية والإخبار بالمغيّبات. وتلك جميعاً ممّا مَنّ اللهُ تعالى به على أوليائه وأوصيائه من أئمّة الهدى عليهم السلام.

«شعائر»

قال الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول): «مناقب أبي جعفر محمّد الجواد ما اتّسعت جِلبابُ مجالها، ولا امتدّت أوقاتُ آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهيّة بقلّة بقائه في الدنيا بحُكْمِها وسجالها، فقلّ في الدنيا مُقامُه، وعُجِّل عليه فيها حِمامُه، فلم تَطُلْ لياليه ولا امتدّت أيّامُه، غيرَ أنّ الله خصّه بمنقبةٍ أنوارُها متألّقةٌ في مطالع التعظيم، وأخبارُها مرتفعة في معارج التفضيل والتكريم». ثم ذكر إخبار الإمام الجواد عليه السلام عما أضمره المأمون في نفسه، ومحاولته اختبار علم الإمام عليه السلام بسؤاله عمّا اصطاده، والقصّة معروفة.

***

* قال الشّيخ محمود الشّيخانيّ القادريّ الشّافعي: «ومن كراماته (أي الإمام الجواد عليه السّلام) أنّه كان تُطوى له الأرض، فيصلّي في يومٍ واحدٍ بمكّة والمدينة والشّام والعراق».

(الصّراط السَّويّ في مناقب آل النبيّ)

***

* «عن محمّد بن الريّان قال: احتال المأمون على أبي جعفر (الجواد) عليه السّلام بكلّ حيلة فلم يمكنه فيه شيء، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته (أي يزفّ ابنتَه إلى الإمام الجواد عليه السّلام) دَفَع إلى مئتَي وصيفة من أجمل ما يكون.. إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السّلام إذا قعد في موضع الأخيار، فلم يلتفت عليه السّلام إليهنّ.

وكان رجلٌ يُقال له مُخارِق صاحبَ صوتٍ وعُودٍ وضرب، طويل اللّحية، فدعاه المأمون فقال مخارق له: يا أمير المؤمنين، إنْ كان في شيءٍ من أمر الدنيا فأنا أكفيكَ أمره.

فقعد مخارق بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشهق شهقةً اجتمع عليه أهلُ الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي، فلمّا فعل ساعةً وإذا أبو جعفر عليه السّلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثمّ رفع عليه السّلام إليه رأسه فقال: **اتّقِ اللهَ يا ذا العُثْنُون!** (والعثنون ما فضل من اللّحية بعد العارضَين، أو شُعَيرات تحت حنك البعير)

قال الراوي: فسقط المضراب مِن يد مخارق والعود، ولم ينتفع بيديه إلى أن مات، فسأله المأمون عن حالهَ، فقال: لمّا صاح بي أبو جعفر فزعتُ فزعةً لا أفيقُ منها أبداً».

(الكافي للكليني)

هل يجوز خيانة من يكون أمينًا للخيانة؟!

* روى جماعة من علماء أهل السُّنّة هذه المنقبة للإمام الجواد سلام الله عليه: «حُكي أنّه لمّا توجّه أبو جعفر الجواد إلى المدينة الشريفة، خرج معه الناس يشيّعونه للوداع.. فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيِّب، فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجدٍ قديم مؤسَّسٍ بذلك الموضع ليصلّيَ فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرةُ نَبْقٍ لم تَحمِل قطّ، فدعا عليه السّلام بكُوزٍ فيه ماء، فتوضأ في أصل الشجرة وقام يصلّي، فصلّى مع الناس المغرب، ثمّ تنفّل بأربع ركعات وسجد بعدهنّ للشكر، ثمّ قام فودّع الناسَ وانصرف، فأصبحت النبقةُ وقد حملت من ليلتها حملاً حَسَناً، فرآها الناس وقد تعجّبوا مِن ذلك غاية العَجَب!».

(جامع كرامات الأولياء للنبهاني، روى الحديث هذا ثمّ قال: وكان ما هو أغرب من ذلك، وهو أن نبق هذه الشجرة لم يكن له عُجْم (أي نَوى)، فزاد تعجّبُهم من ذلك! وهذا مِن بعض كراماته الجليلة، ومناقبه الجميلة)

***

* روى ابن الصبّاغ المالكيّ عن أبي خالد، قال: «كنت بالعسكر (وهو محلّة في سامراء)، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتِي به من الشام مُكبَّلاً بالحديد وقالوا: إنّه تنبّأ! فأتيتُ باب السجن ودفعت شيئاً إلى السجّان حتّى دخلتُ عليه، فإذا برجلٍ ذي فَهمٍ وعقل ولُبّ، فقلت له: يا هذا، ما قصّتك؟

قال: إنّي كنتُ رجلاً بالشام أعبُد اللهَ تعالى في الموضع الذي يُقال إنّه نُصِب فيه رأسُ الحسين عليه السّلام.. فبينما أنا ذاتَ يومٍ في موضعي مُقْبِل على المحراب أذكر الله، إذ رأيتُ شخصاً بين يَدَيّ، فنظرت إليه فقال لي: قُم. فقمتُ معه، فمشى قليلاً.. فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم، هذا مسجد الكوفة. فصلّى فصلّيتُ معه، ثمّ خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً.. فإذا نحن بمكّة المشرّفة، فطاف بالبيت فطفتُ معه، ثم خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً.. فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه بالشام.. ثمّ غاب عنّي، فبقيتُ متعجّباً ممّا رأيت. فلمّا كان العام المقبل، فإذا بذلك الشخص قد أقبل عليّ، فاستبشرت به فدعاني فأجبتُه، ففعل بي كما فعل بي بالعام الماضي، فلمّا أراد مفارقتي قلتُ له: سألتك بحقّ الذي أقدَرَك على ما رأيتُ منك، إلاّ ما أخبرتَني مَن أنت، فقال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

فحدّثت بعضَ مَن كان يجتمع لي بذلك، فرفع ذلك إلى [الوزير العبّاسي] محمّد بن عبد الملك الزيّات، فبعث إليّ مَن أخذني في موضعي وكبّلني في الحديد، وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى، وادّعى عليّ بالمُحال.

قال أبو خالد: قلتُ له: فأرفعُ عنك قصّةً [أي ورقة فيها شرح حالك] إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات.

قال: افْعَلْ.

قال: فكتبتُ عنه قصّةً وشرحتُ فيها أمره ورفعتُها إلى محمّد بن عبد الملك، فوقّع على ظهرها: قُلْ للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتَها، يُخرِجك من السجن الذي أنت فيه!

فقال أبو خالد: فاغتَمَمتُ لذلك وسُقط في يدي، وقلت: إلى غدٍ آتيه (أي هذا السجين) وآمرُه بالصبر وأعِده من الله بالفَرَج، وأُخبره بمقالة هذا الرجل المتجبّر (أي الزيّات). فلمّا كان من الغد باكرتُ السجن.. فإذا أنا بالحرسِ والجندِ وأصحابِ السجن وناسٍ كثيرين في هَرَج! فسألتُ: ما الخبر؟! فقيل لي: إنّ الرجل المتنبّئ المحمول من الشام فُقِد البارحةَ من السجن، لا ندري كيف خَلَص منها، وطُلِب فلم يُوجد له أثرٌ ولا خبر، ولا يدرون.. أغُمِس في الماء، أم عُرِج به إلى السماء!

فتعجّبتُ من ذلك وقلت: استخفافُ ابن الزيّات بأمره، واستهزاؤه بما وقّع به على قصّته، خلّصه من السجن».

(الفصول المهمّة)

* «حدّث أبو محمّد عبد الله بن محمّد قال: قال لي عمارة بن زيد: رأيت امرأةً قد حملت ابناً لها مكفوفاً إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ (الجواد) عليه السلام، فمسح يدَه عليه فاستوى قائماً يعدو كأنْ لم يكن في عينه ضرر!».

(دلائل الإمامة للطبري الإمامي)

***

* «عن أبي سَلَمة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وكان بي صَمَمٌ شديد، فخُبِّر بذلك لمّا أنْ دخلتُ عليه، فدعاني إليه فمسح يده على أُذُني ورأسي ثمّ قال: **اسْمَعْ وعِهْ**. [قال أبو سلمة] فوَاللهِ إنّي لأسمعُ الشيءَ الخفيّ عن أسماع الناس مِن بعد دعوته».

(مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب)

***

* «عن أبي هاشم الجعفريّ قال: كلّمني جَمّالٌ أن أُكلّمَه (أي أُكلّم الإمامَ الجواد عليه السلام) ليدخله في بعض أموره، فدخلت عليه لأكلّمه فوجدتُه يأكلُ مع جماعة، فلم يُمكِنّي كلامه، فقال: **يا أبا هاشِمٍ، كُلْ**، ووضع بين يَدَيّ.. ثمّ قال ابتداءً منه مِن غير مسألة: **يا غُلامُ، انْظُرِ الجَمّالَ الّذي أَتانا بِهِ أَبو هاشِمٍ فَضُمَّهُ إِلَيْكَ**».

(الإرشاد للشيخ المفيد)

***

* «رُوي عن ابن أُرومة أنّه قال: حَمَلَت إليّ امرأةٌ شيئاً من حُليٍّ وشيئاً من دراهم وشيئاً من ثياب، فتوهّمتُ أنّ ذلك كلّه لها، ولم أسألها إنْ كان لغيرها في ذلك شيء.. فحملتُ ذلك إلى المدينة مع بضاعات لأصحابنا، فوجّهتُ ذلك كلّه إليه (أي إلى الإمام الجواد عليه السّلام) وكتبت في الكتاب أنّي قد بعثت إليك مِن قِبل فلانة كذا ومِن قِبل فلانٍ كذا ومِن فلانٍ وفلانٍ بكذا. فخرج في التوقيع: **قد وصل ما بعثتَ مِن قِبل فلان وفلان ومن قِبَل المرأتين، تقبّل اللهُ منك ورضي عنك، وجَعَلك معنا في الدنيا والآخرة**.

فلمّا رأيت ذِكرَ المرأتينِ شككتُ في الكتاب أنّه غيرُ كتابه، وأنّه قد عُمِل عليّ دونه؛ لأنّي كنتُ في نفسي على يقينٍ أنّ الذي دفعتُ إليّ المرأة كان كلّه لها وهي امرأةٌ واحدة، فلمّا رأيت في التوقيع امرأتين اتّهمت مُوصِلَ كتابي. فلمّا انصرفتُ إلى البلاد جاءتني المرأة فقالت: هل أوصلتَ بضاعتي؟ فقلت: نعم. قالت: وبضاعة فلانة؟ قلت: وكان فيها لغيرِكِ شيء؟! قالت: نعم، كان لي فيها كذا ولأُختي فلانة كذا. قلت: بلى، قد أوصلتُ ذلك. وزال ما كان عندي».

(الخرائج للراوندي)

استجابة دعائه عليه السّلام

* «عن محمّد بن عُمير بن واقد الرازي، قال: دخلتُ على أبي جعفر محمّد الجواد بن الرضا عليهما السلام ومعي أخي به بَهَقٌ شديد، فشكا إليه من البَهَق، فقال عليه السّلام: **عافاكَ اللهُ ممّا تَشْكو**. فخرجنا من عنده وقد عُوفي، فما عاد إليه ذلك البهق إلى أن مات.

قال محمّد بن عمير: وكان يصيبني وجعٌ في خاصرتي في كلّ أُسبوع، فيشتدّ ذلك بي أيّاماً.. فسألته أن يدعوَ لي بزواله عنّي، فقال: **وَأَنْتَ عافاكَ اللهُ**. فما عاد إلى هذه الغاية».

(الثاقب في المناقب لابن حمزة)

***

* «عن ابن أُرومة أنّه قال: إنّ المعتصم دعا جماعةً من وزرائه فقال لهم: اشهدوا لي على محمّد بن عليّ بن موسى (أي الجواد عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسّلام) زُوراً، واكتبوا كتاباً أنّه أراد أن يَخرُج علينا! ثمّ دعاه فقال له: إنّك أردتَ أن تخرج عليّ!

قال عليه السّلام: **واللهِ ما فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ**.

قال المعتصم: إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً.. شَهِدوا عليك بذلك. وأُحضِروا فقالوا: نعم، وهذه الكتب أخذناها مِن بعض غِلمانك!

وكان أبو جعفر (الجواد) عليه السلام جالساً في بهوٍ (وهو غرفة متقدّمة من البيت، وهي عادةً غرفة الضيوف)، فرفع يده وقال: **اللَّهُمّ إِنْ كانوا كَذَبُوا عليّ فَخُذْهُمْ**.

قال الراوي: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يَزحَف ويَذهب ويجيء.. وكلّما قام واحدٌ وقع. فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، إنّي تائبٌ ممّا قلتُ فادعُ ربّك أن يُسكِّنَه.

فقال عليه السّلام: **اللَّهُمَّ سَكِّنْهُ، إِنّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْداؤُكَ وَأَعْدائي... فَسَكَنَ**».

(الثاقب في المناقب)

شبيهُ الأنبياء

شذرات من مناقب الإمام الجواد عليه السلام

■ الشيخ حسين كوراني

*** تحت هذا العنوان: «شبيهُ الأنبياء»، تناول سماحة العلامة الشيخ حسين كوراني واحدة من أعظم الصفات التي ميّزت مكانة الإمام محمّد الجواد عليه السلام في المسيرة النبويّة الإلهية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام. عنينا بها وراثته الأصيلة لأنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين، ولا سيّما لجهة السّمة الإعجازية لشخصيّته النبويّة. وقد أشار سماحته في معرض كلامه إلى تصدّي الإمام الجواد عليه السلام لأعقد القضايا التي واجهتها الأمة، رغم حداثة سنّه ومشقّة الظروف التي عاشها أيّام حُكم بني العبّاس.**

يُشار إلى أن هذه المقالة منتخبة من عدّة دروس ألقاها سماحته في «المركز الإسلامي».

«شعائر»

من بين أبرز المعجزات في تاريخ النُّبوّة والإمامة، سبعُ معاجز امتازت عن غيرها بأنّ المحوَر فيها نبيٌّ أو إمام صغير السِّنّ، يتصدّى في صغر سِنِّه لمهمّة «**الحُجّة على الخَلْق**»، بما يعنيه ذلك من عِلم يفوق كلّ ما أُوتيه حتّى أعلم العلماء، وبما يعنيه أيضاً من حكمة ودراية وقيادة سياسيّة في حمَّى الصّراع مع الطّواغيت، والمترَفين، والملأ.

المعجزات السبع هي نُبوّة الأنبياء سليمان وعيسى ويحيى عليهم السلام، وإمامة أمير المؤمنين والأئمّة الجواد والهادي والمهديّ عليهم السلام.

نحن في الحديث على أعتاب الإمام الجواد عليه السلام أمامَ الحديث عن معجزة فارقة هي معجزة الطفل الحجّة على الخلق، هي أن يكون شخصٌ صغير السنّ نبيّاً أو إماماً، وقد تكرّرت هذه الظاهرة في خطّ الأنبياء والأوصياء سبع مرّات؛ ثلاث منها في الأنبياء وأربع في الأوصياء.

الأنبياء: سليمان وعيسى ويحيى عليهم السلام.

والأوصياء: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام المهديّ عليهم السلام.

سليمان في العاشرة من عمره كان نبيّاً.

وعيسى في المهد قال: ﴿.. إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

ويحيى قال عنه تعالى: ﴿..وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام، فيكفي هذا النصّ من (نهج البلاغة) يتحدّث عمّا قاله له النبيّ الأعظم عندما كان في العاشرة من عمره، قال عليه السلام: «**وَلَقَدْ سمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حينَ نزلَ الوحيُ عليهِ صلّى الله عليْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما هَذِهِ الرَّنَّة؟ فقالَ هذا الشَّيْطانُ آيِسٌ مِنْ عبادَتِه. إنَّكَ تسمعُ ما أَسْمَعُ، وتَرَى ما أَرَى، إلّا أَنَّكَ لَستَ بنَبيٍّ، ولَكِنَّكَ وَزيرٌ، وإِنَّك لَعَلى خَيْر**».

ترابط هذه المعجزات

ينبغي التّنبُّه جيّداً إلى العلاقة الجذريّة بين معجزات هؤلاء الأنبياء، وبين معاجز الأئمّة عليهم جميعاً الصّلاة والسّلام، فالإعجاز في صغر

القصدُ إلى الله تعالى بالقلوب، أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال.

السِّنّ في مجال النّبوّة، تأسيسٌ لأصلٍ عقائديّ، يُمكِّن من التّعاطي مع ما سيأتي في خطِّ الوصاية المحمّديّة بيَقينٍ قرآنيّ.

كما ينبغي التّنبُّه إلى تمهيد ظاهرة إمامة الإمام الجواد عليه السلام في السّابعة من عمره الشّريف - أو حواليها - لإمامة الإمام المهديّ المنتظَر عليه السلام في حوالي الخامسة من عمره الشّريف.

إنَّ الفرق كبير جدّاً بين التّعامل مع هذه المعاجز منفصلة عن بعضها، أو فصل معاجز النّبوة عن معاجز الإمامة، وبين التّعامل معها على قاعدة التّرابط والانتظام ضمن أصلٍ عقائديّ وقرآنيّ واحد، كما أنَّ الفرق كبيرٌ جدّاً بين التّفكير بمعجزة صِغر سنِّ الإمام الجواد دون الربط بينه وبين وصغر سنِّ الإمام المهديّ عليهما السلام حين تصدِّيهما لمهامّ الخلافة الإلهيّة، ووصاية رسول الله صلّى الله عليه وآله، وبين التّفكير بمعجزتَي هذين الإمامَين عليهما السلام.

سيقودنا التّأمُّل في هذا التّرابط - وتلقائيّاً - إلى التّرابط بين نبوّة النّبيّ عيسى عليه السلام «في المهد»، وبين إمامة الإمام المهديّ المنتظر الذي أجمع المسلمون أنّه سينزل من حيث رفعه الله تعالى إليه، ليَنصر المهديّ الذي يُحقّق الله تعالى على يديه آمال النّبيّين والمُستضعفين.

المشكاة واحدة، والله تعالى بكلِّ شيءٍ عليم، وقد تكفَّل، سبحانه، بألّا يكون للنّاس عليه حُجَّة، وأنّ له سبحانه الحجَّة البالغة، فمن الطّبيعي أن تُبنى الأُسس العقائديّة لمسيرة النّبوّة والإمامة - الواحدة - على غاية القوّة والوضوح.

هكذا يمكننا أن ندرك أهمّيّة التّأسيس العقائدي لإمامة المهديّ المُنتظَر خاتم الولاية المحمّديّة، وندرك أيضاً مدى

نحن أمامَ الحديث عن معجزة فارقة، هي معجزة «الطفل» الحجّة على الخلق، وقد تكرّرت هذه الظاهرة في خطّ الأنبياء والأوصياء سبع مرّات

اللُّطف الإلهي للأجيال التي ستواجه ألوان التّشكيك بإمامة الإمام الجواد، ثمّ على امتدادِ دوراتٍ طويلةٍ من الزّمن، تمتدّ قروناً بإمامة الإمام المهديّ المُنتظَر عليه السلام.

أصلٌ مبدأ ﴿.. وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾، لُطفٌ إلهيّ، من تجلِّياته تعزيز الإيمان بالغَيْب. وتثبيته في القرآن الكريم لُطفٌ آخر، وتكراره في الأنبياء لمزيد تثبيته كأصلٍ عقائديّ مُسلَّم، فيضُ لطفٍ خاصّ، وكذلك هو شأن تكرّره في أكثر من إمام.

وممّا ينبغي الوقوف عنده طويلاً في معجزة صِغر سنِّ الإمام الجواد، هو أنّه عليه السلام لم يُعمِّر طويلاً، فقد استُشهد في الخامسة والعشرين من عمره الشَّريف، وهذا يعني أنَّ كلّ فترة عمره كانت تحدّياً منه لخصومه، وتحدّياً من خصومه له... نستنتج أنَّ فرادة إعجاز إمامة الإمام الجواد عليه السلام، في المرتبة الأولى بين المعجزات الخاصّة جدّاً، وأنّها كانت في معرض التّحدّي والاختبار طيلة عمر الإمام عليه السلام.

النصّ على إمامته عليه السلام

لما وُلد أبو جعفر الجواد، قال الرضا عليه السلام لأصحابه: «**قَدْ وُلِدَ لي شَبيهُ موسى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فالقِ البِحار، وشَبيهُ عيسى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ**».

الشّبه بالنبيّ عيسى عليه السلام واضح، وأمّا الشبه بالنبيّ موسى عليه السلام ودلالة تعبير «فالق البحار» هي أنَّ الإمام الجواد ضاهت مهمةَ النبيّ موسى مهمّتُه في تحدّي فراعنة عصره وفي معاجزه.

ومن النصوص على إمامته رغم صغر سنّه عليه السلام:

* في (عيون المعجزات) للشيخ حسين بن عبد الوهّاب: «عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام:

من لم يرضَ من أخيه بحُسن النيّة، لم يرضَ بالعصمة. (الذرّ البارع، الشهيد الأول)

قد كنّا نسألك عن الإمام بعدَك قبل أن يهبَ اللهُ لك أبا جعفر، وكنت تقول: **يَهَبُ اللهُ لي غُلاماً**، وقد وهب الله لك وأقرّ عيوننا. ولا أرانا الله يومك، فإن كانت الحادثة فإلى مَن نفزع؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائمٌ بين يديه.

فقلت: جعلت فداك، وهو ابن ثلاث سنين؟!

فقال: **وما يَضرُّهُ ذلك؟ قد قامَ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ بالحُجَّةِ وهو ابْنُ سَنَتَيْنِ**».

* وفي (الكافي) للكليني: «عن الخيراني قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيّدي إن كان كَوْنٌ فإلى مَنْ؟

قال: **إلى أبي جَعْفَرٍ ابْني**.

فكأن القائل استصغر سنّ أبي جعفر، فقال أبو الحسن عليه السلام: **إنَّ اللهَ تباركَ وتَعالى بَعَثَ عيسى بْنَ مريمَ رَسولاً نَبِيّاً، صاحِبَ شريعَةٍ مُبْتَدَأةٍ، في أصْغَرِ مِنَ السِّنِّ الذي فيه أبو جَعْفَرٍ**».

* وفيه أيضاً: «قال الرضا عليه السلام: **هذا أبو جَعْفَرٍ قد أَجْلَسْتُهُ مَجْلِسي وَصَيَّرْتُهُ مَكاني**».

* وقالَ: «**إنّا أَهْلُ بَيْتٍ يَتوارَثُ أَصاغِرُنا عَن أَكابِرِنا، القُذَّةَ بِالقُذَّةِ**».

* «وعن يحيى بن حبيب الزيات قال: أخبرني مَن كان عند أبي الحسن الرضا عليه السلام جالساً، فلما نهضوا قال لهم: **إلْقَوْا أبا جَعْفَرٍ فَسَلِّموا عَلَيْهِ وَأَحْدِثوا بِه عَهْداً**. فلمّا نهض القوم، التفت إليّ فقال: **يَرْحَمُ اللهُ المُفَضَّلَ، إنَّهُ كانَ لَيَقْنَعُ بِدونِ هَذا**».

* «وعن معمّر بن خلّاد قال: سمعتُ إسماعيل بن إبراهيم يقول للرضاعليه السلام: إن ابني في لسانه ثقل، فأنا أبعث به إليك غداً تمسح على رأسه وتدعو له، فإنّه مولاك.

حداثةُ سنّ عددٍ من الأنبياء والأوصياء تأسيسٌ عقائديّ لإمامة المهديّ المُنتظَر عجل الله فرجه الشريف خاتم الولاية المحمّديّة

فقال: **هو مَوْلى أَبي جَعْفَرٍ، فابْعَثْ بِهِ غَداً إِلَيْهِ**».

* وفي (كمال الدين) للشيخ الصدوق: «عن عبد السلام بن صالح الهرويّ، قال: سمعتُ دعبل بن عليّ الخزاعي يقول: أنشدتُ مولاي الرضا عليّ بن موسى قصيدتي التي أوّلها:

مَدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ

ومَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ العَرصاتِ

فلما انتهيت إلى قولي:

خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٌ

يَقومُ على اسْمِ اللهِ وَالبَرَكاتِ

يُمَيِّزُ فينا كُلَّ حَقٍّ وباطِلٍ

ويَجْزي عَلى النَّعْماءِ والنَّقِماتِ

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي: **يا خُزاعِيُّ، نَطَقَ روحُ القُدُسِ عَلى لِسانِكَ بِهَذَيْنِ البَيْتَيْنِ، فَهَلْ تَدْري مَنْ هَذا الإمامُ وَمَتى يَقومُ؟**

فقلت: لا يا مولاي، إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً كما مُلئت جوراً.

فقال: **يا دِعْبِلُ، الإمامُ بَعْدي مُحَمّدٌ ابْني، وبَعْدَ مُحَمَّدٍ ابْنُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الحَسَنُ، وَبَعْدَ الحَسَنِ ابْنُهُ الحُجَّةُ القائِمُ المُنْتَظَرُ في غَيْبَتِهِ، المُطاعُ في ظُهورِهِ. لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلّا يَوْمٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، ذَلِكَ اليَوْمَ حَتّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَ الأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً.**

وأمّا متى، فإخْبارٌ عَنِ الوَقْتِ، فقدْ حَدَّثَني أَبي، عنْ أَبيهِ عَنْ آبائِهِ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قيلَ له: يا رَسولَ اللهِ مَتى يَخْرُجُ القائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟

فقال: مَثَلُهُ مَثَلُ السّاعَةِ الّتي: ﴿.. لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ..﴾».

أَدلُّكَ على أمرٍ إذا فَعَلْتَهُ كنتَ وليَّ اللّه حقّاً

قطب الدين الراوندي رحمه الله

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ الحَذَرَ لا يُنْجي مِنَ القَدَر، ولكن يُنْجي مِنَ القَدَرِ الدُّعاءُ، فَتَقَدَّموا في الدُّعاءِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ البَلاءُ، إنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِالدُّعاءِ ما نَزَلَ مِنَ البَلاءِ وَما لَمْ يَنْزِلْ».

مجموعة من الدعوات الموجزة أوصى النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، بالاستعانة بها في قضاء الحوائج، مختارة من كتاب (الدعوات) للمولى أبي الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بـ «قطب الدين الراونديّ».

* قال أمير المؤمنين عليه السلام، للبراء بن عازب: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلى أَمْرٍ إِذا فَعَلْتَهُ كُنْتَ وَلِيَّ اللهِ حَقّاً؟**

قال: قلتُ: بلى يا وليّ الله.

قال: **تُسَبِّحُ اللهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْراً، وَتَحْمَدُهُ عَشْراً، وَتُكَبِّرُهُ عَشْراً، وَتَقولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ، عَشْراً، يَصْرِفُ اللهُ، تَعالى، عَنْكَ أَلْفَ بَلِيَّةٍ في الدُّنْيا، أَيْسَرُها الرِّدَّةُ عَنْ دينِكَ، وَيُدّخِرُ لَكَ في الآخِرَةِ أَلْفَ مَنْزِلَةٍ، أَيْسَرُها مُجاوَرَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**».

رطِّب شفتيك بالاستغفار

* قال أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام: «**إنَّ مِنْ أَلحِّ الدُّعاءِ أَنْ يَقولَ العَبْدُ: ما شاءَ الله، وَإِنَّ مِنْ أَجْمَعِ الدُّعاءِ أَنْ يَقولَ العَبْدُ: الاسْتِغْفار؛ وسَيِّدُ كَلامِ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ (لا إِلَهَ إِلّا اللهُ)**».

* وعن محمّد بن الرّيّان، قال: «كتبتُ إلى أبي الحسن الثالث (الإمام الهادي) عليه السلام أسأله أن يعلّمني دعاء (للشدائد) والنوازل والمهمّات وقضاء حوائج الدنيا والآخرة، وأن يخصّني كما خصّ آباؤه مواليهم، فكتب إليّ: **الْزَمِ الاسْتِغْفارَ**».

* وعن إسماعيل بن سهل، قال: «قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: علِّمني دعاء إذا أنا قلته كنت معكم في الدنيا والآخرة، فكتب إليّ: **أَكْثِرْ تِلاوَةَ (إِنّا أنزلناه)، ورَطِّبْ شَفَتَيْكَ بِالاسْتِغْفارِ**».

دعواتٌ لا تُردّ

* قَدِمَ رجلٌ على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: «يا رسول الله، هل من دعاءٍ لا يُرَدّ؟

قال: **نَعَمْ، (اللّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الأَعْلى الأَجَلِّ الأَعْظَمِ)، تُرَدِّدُها ثمّ سَلْ حاجَتَكَ**».

* وقال صلّى الله عليه وآله: «**ما مِنْ عَبْدٍ يَبْسُطُ كَفَّيْهِ في دُبُرِ صَلاتِهِ، ثُمَّ يَقولُ: (اللَّهُمَّ إِلَهي وَإِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ويوسُفَ، وَإِلَهَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَجِيبَ لي دَعْوَتي فَإِنِّي مُضْطَرٌّ، وَتَعْصِمَني في ديني فَإِنِّي مُبْتَلًى، وَتَنالَني بِرَحْمَتِكَ فَإِنِّي مُذْنِبٌ، وَتَنْفِيَ عَنّيَ الفَقْرَ فَإِنِّي مِسْكينٌ)، إِلّا كانَ حَقّاً عَلى اللهِ أَلّا يَرُدَّ يَدَيْهِ خائِبَتَيْنِ**».

* وعن عليّ بن محمّد (الهادي) عليه السلام، قال: «**هذا دُعاءٌ كَثيراً ما أَدْعو اللهَ تَعالى بِهِ، وَقَدْ سَأَلْتُ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَلّا يُخَيِّبَ مَنْ دَعا بِهِ في مَشْهَدي، وهو: (يَا عُدَّتِي دُونَ الْعُدَدِ، وَيَا رَجَائِي وَالْمُعْتَمَد، وَيَا كَهْفِي وَالسَّنَد، ويا واحِدُ ويا أَحَد، وَيَا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ أَحَداً مِثْلَهُمْ، صَلِّ عَلى جَماعَتِهِمْ...)**». [ثمّ يسأل حاجته]

* وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: «**مَن أَصابَهُ هَمٌّ أو كَرْبٌ أَوْ حُزْنٌ، فَلْيَقُلْ: اللهُ اللهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، تَوَكَّلْتُ عَلى الحَيِّ الّذي لا يَنامُ، وَلا يَموتُ**».

* وعن سماعة بن مهران قال: «قال أبو الحسن (الكاظم) عليه السلام: **إذا كانَتْ لَكَ حاجَةٌ إلى اللهِ، فَقُلْ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ فَإِنَّ لَهُما عِنْدَكَ شَأناً مِنَ الشَّأْنِ وَقَدْراً مِنَ القَدْرِ، فَبِحَقِّ ذَلِكَ الشَّأْنِ وَبِحَقِّ ذلكَ القَدْرِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَفْعَلَ كَذا وَكَذا) فَإِنَّهُ إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ، إِلّا وَهُوَ يَحْتاجُ إِلَيْهِما في ذَلِكَ اليَوْمِ**».

الإمامة المبكِرة للمهديّ المنتظَر
إعدادٌ إلهيّ لشخصيّة القائد

الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره

«كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر مع أنّه لم يعاصر أباه الإمام العسكريّ إلاّ خمس سنوات تقريباً، وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لإنضاج شخصيّة القائد، فما هي الظروف التي تكامل من خلالها؟».

سؤال طرحه السيّد محمّد باقر الصدر قدّس سرّه، وأجاب عليه في كتابه (بحث حول المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، مستنداً إلى القرائن والأدلّة، والتي تخلُص إلى أنّ الإمامة المبكِرة ظاهرة واقعيّة في حياة أهل البيت عليهم السلام، ولها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء.

إنّ المهديّ عليه السلام، خلَفَ أباه في إمامة المسلمين، وهذا يعني أنّه كان إماماً بكلّ ما في الإمامة من محتوىً فكريّ وروحيّ في وقت مبكِر جدّاً من حياته الشريفة.

والإمامة المبكِرة ظاهرة سبقهُ إليها عددٌ من آبائه عليهم السلام، فالإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام، تولّى الإمامة وهو في الثامنة من عمره، والإمام عليّ بن محمّد الهادي تولّى الإمامة وهو في التاسعة من عمره، والإمام أبو محمّد الحسن العسكريّ والد القائد المنتظر تولّى الإمامة وهو في الثانية والعشرين من عمره.

ويلاحَظ أنّ ظاهرة الإمامة المبكِرة بلغت ذروتها في الإمام المهديّ والإمام الجواد عليهما السّلام، ونحن نسمّيها ظاهرة لأنّها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهديّ عليه السلام، تشكّل مدلولاً حسيّاً عمليّاً عاشه المسلمون، ووعوه في تجربتهم مع الإمام بشكل وآخر، ولا يمكن أن نُطالب بإثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة أُمّة. ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية:

أ) لم تكن إمامة الإمام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الإبن، ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميّين، وخلافة الخلفاء العبّاسيّين، وإنّما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبيّة الواسعة عن طريق التغلغل الروحي، والإقناع الفكري لتلك القواعد بجدارة هذه الإمامة لزعامة الإسلام، وقيادته على أُسس روحيّة وفكريّة.

ب) إنّ هذه القواعد الشعبيّة بُنيت منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتّسعت على عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وأصبحت المدرسة التي رعاها هذان الإمامان في داخل هذه القواعد تشكّل تيّاراً فكريّاً واسعاً في العالم الإسلامي، يضمّ المئات من الفقهاء والمتكلّمين والمفسّرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الإسلاميّة والبشريّة المعروفة وقتئذٍ، حتى قال الحسن بن عليّ الوَشّاء: «إنّي دخلتُ مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ، كلّهم يقولون حدّثنا جعفر بن محمّد».

ج) إنّ الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تُمثّله من قواعد شعبيّة في المجتمع الإسلامي، تؤمن بها وتتقيّد بموجبها في تعيين الإمام والتعرّف على كفاءته للإمامة، شروط شديدة؛ لأنها تؤمن بأنّ الإمام لا يكون إماماً إلاّ إذا كان أعلم علماء عصره.

د) إنّ المدرسة وقواعدها الشعبيّة كانت تقدّم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها في الإمامة؛ لأنّها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكّل خطّاً عدائيّاً، ولو من الناحية الفكريّة على الأقل، الأمر الذي أدّى إلى قيام السلطات وقتئذٍ، وباستمرارٍ تقريباً، بحملات من التصفية والتعذيب، فقُتل من قُتل، وسُجن من سُجن، ومات في ظلمات المعتقلات المئات. وهذا يعني أنّ الاعتقاد بإمامة أئمّة أهل البيت كان يكلّفهم غالياً، ولم يكن له من الإغراءات سوى ما يحسّ به المعتقد أو يفترضه من التقرّب إلى الله تعالى والزُّلفى عنده.

هـ) إنّ الأئمّة الذين دانت هذه القواعد لهم بالإمامة لم يكونوا معزولين عنها، ولا متقوقعين في بروج عالية شأن السلاطين مع شعوبهم، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي، وهذا ما نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدّثين عن كلّ واحد من الأئمّة الأحد عشر، ومن خلال ما نقل من المُكاتبات التي كانت تحصل بين الإمام ومعاصريه، وما كان الإمام يقوم به من أسفار من ناحية، وما كان يبثّه من وكلاء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من ناحية أخرى، وما كان قد اعتاده الشيعة من تفقّد أئمّتهم وزيارتهم في

المدينة المنوّرة عندما يؤمّون الديار المُقدّسة من كلّ مكان لأداء فريضة الحجّ، كلّ ذلك يفرض تفاعلاً مستمرّاً بدرجة واضحة بين الإمام وقواعده الممتدّة في أرجاء العالم الإسلاميّ بمختلف طبقاتها من العلماء وغيرهم.

و) إنّ الخلافة المعاصرة للأئمّة عليهم السلام، كانت تنظر إليهم وإلى زعامتهم الروحيّة والإماميّة بوصفها مصدر خطر كبير على كيانها ومقدّراتها، وعلى هذا الأساس بذلت كلّ جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة، وتحمّلت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيّات، وظهرت أحياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرّها تأمين مواقعها إلى ذلك، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرّة للأئمّة عليهم السلام أنفسهم على الرغم ممّا يخلّفه ذلك من شعور بالألم أو الاشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم.

الخلافة الجائرة أدركت حقيقة الإمام

إذا أخذنا هذه النقاط الستّ بعين الاعتبار، وهي حقائق تاريخيّة لا تقبل الشكّ، أمكن أن نخرج بنتيجة، وهي: أنّ ظاهرة الإمامة المبكِرة كانت ظاهرة واقعيّة ولم تكن وهماً من الأوهام؛ لأنّ الإمام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيُعلن عن نفسه إماماً روحيّاً وفكريّاً للمسلمين، ويدين له بالولاء والإمامة كلّ ذلك التيّار الواسع، لا بدّ أن يكون على قدر واضح وملحوظ، بل وكبير، من العلم والمعرفة وسعة الأفق والتمكّن من الفقه والتفسير والعقائد؛ لأنّه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبيّة بإمامته، مع ما تقدّم من أنّ الأئمّة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم، وللأضواء المختلفة أن تُسلّط على حياتهم وموازين شخصيّتهم. فهل ترى أنّ صبيّاً يدعو إلى إمامة نفسه وينصّب منها عَلَماً للإسلام وهو على مرأىً ومسمع من جماهير قواعده الشعبيّة، فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلّف نفسها اكتشاف حاله، وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الإمامة المبكِرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقويم هذا الصبيّ الإمام؟

وهب أنّ الناس لم يتحرّكوا لاستطلاع المواقف، فهل يمكن أن تمرّ المسألة أيّاماً وشهوراً، بل أعواماً دون أن تتكشّف الحقيقة، على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمرّ بين الصبيّ الإمام وسائر الناس؟ وهل من المعقول أن يكون صبيّاً في فكره وعلمه حقّاً، ثمّ لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل؟

وإذا افترضنا أنّ القواعد الشعبيّة لإمامة أهل البيت لم يُتح لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الإمام الصبيّ صبيّاً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان، وما كان أنجحه من أسلوب أن تقدّم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته، وتبرهن على عدم كفاءته للإمامة والزعامة الروحيّة والفكريّة.

فلئن كان من الصعب الإقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلّم الإمامة، فليس هناك صعوبة في الإقناع بعدم كفاءة صبيّ اعتيادي مهما كان ذكيّاً وفَطِناً للإمامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الإماميّون، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقّدة وأساليب القمع، والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ.

إنّ التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة، هو أنّها أدركت أنّ الإمامة المبكِرة ظاهرة حقيقيّة وليست شيئاً مصطنعاً.

والحقيقة أنّها أدركت ذلك بالفعل بعد أن حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع، والتأريخ يحدّثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها، بينما لم يحدّثنا إطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الإمامة المبكِرة، أو واجه فيه الصبيّ الإمام إحراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه.

وهذا معنى ما قلناه من أنّ الإمامة المبكِرة ظاهرة واقعيّة في حياة أهل البيت وليست مجرّد افتراض، كما أنّ هذه الظاهرة الواقعيّة لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتدّ عبر الرسالات والزعامات الربّانيّة. ويكفي مثالاً لظاهرة الإمامة المبكِرة في التراث الربّاني لأهل البيت عليهم السلام، يحيى عليه السلام، إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ مريم:١٢.

ومتى ثبت أنّ الإمامة المبكِرة ظاهرة واقعيّة ومتواجدة فعلاً في حياة أهل البيت عليهم السلام، لم يعد هناك اعتراض فيما يخصّ إمامة المهديّ عليه السلام، وخلافته لأبيه وهو صغير.

صلاتُك سببُ نجاتك

أدبُ حضور القلب في محضر القُدس

الإمام الخميني قدس سره

يقول الإمام الخميني قدّس سرّه: «قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾. ففاقدُ الخشوع في صلاته ليس من أهل الإيمان والفلاح».

في هذا المقتطف من كتاب الإمام الراحل (سرّ الصلاة)، يُبيّن رضوان الله عليه كيفيّة السعي لتحصيل الخشوع في الصلاة، ويُرجِع مَنْشأه إلى مدى تعظيم مناجاة الحقّ تعالى في نفس المُصلّي.

إنّ منشأ حضور القلب في أيّ عمل من الأعمال، وسببَ إقبال النفس عليه وتوجّهها إليه، يَكمن في تلقّي القلب ذلك العمل بالعظَمة، وعدّه من المهمّات. هذا الأمر - وإن كان واضحاً - لكنّه يصبح أوضح بذكر مثال:

إذا أجاز لك ملِكٌ الحضور في محفل أُنسه العظيم، وجعلك محلّ عنايته بحضرة الجميع؛ فلأنّك ترى هذا المقام عظيماً في قلبك، وتتلقّاه بالعظَمة والأهمية، يَحضُر قلبُك بتمامه، ويحافظ على جميع آداب المجلس، ويتنبّه لكلام الملك، ولحركاته وسكناته، في جميع الأحوال، ولا يغفل عنه ولو للحظة.

وعلى خلاف ذلك، إذا كان المخاطَب غير مهمّ ويراه القلب تافهاً، فلا يحصل لك حضور القلب في مخاطبته، وتكون غافلاً عن حالاته وأقواله.

ومن هنا يُعلم السبب في عدم حضور قلوبنا في العبادات وغفلتها عنها؛ فنحن لو اهتممنا بمناجاة الحقّ تعالى ووليّ نعمتنا بمقدار ما تهمّنا مخاطبة المخلوق الضعيف، لما حصل لنا هذا القدر من النسيان والغفلة والسّهو. ومن المعلوم جدّاً أنّ هذا التساهل ناشئ من ضَعف الإيمان بالله تعالى، وبالرسول، وبأخبار أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين، بل من التساهل بالمحضر الربوبيّ، ومقام القدس للحقّ تعالى.

لقد دعانا وليّ النِّعم إلى مناجاته وإلى حضرته بلسان الأنبياء والأولياء، بل بقرآنه المقدّس، وفتح لنا أبواب دعائه ومناجاته، ومع هذا الوصف لا نلتزم أدب حضرته بقدر التباحث مع عبدٍ ضعيف؛ بل كلّما شرعنا في الصلاة، التي هي بابٌ من أبواب محضره الربوبيّ وحضور جنابه، فكأنّها فرصةٌ لنا لنشتغل بالأفكار المُتشتّتة والخواطر الشيطانيّة، فكأنّما الصلاة مفتاحُ الدكان أو أوراق الكتاب، فلا يعلَّل هذا إلّا بسبب وهن الإيمان وضعف اليقين دون غيرهما. ولو علم الإنسان عواقبَ هذا التساهل، وراح ينبّه القلب، فإنّه سيكون في صدد الإصلاح لا محالة، وسيَمضي في معالجة نفسه.

وتكمن الخطورة في أنّ الإنسان، إذا لم يتلقَّ أمراً بالأهمّيّة والعَظَمَة، فسينجرّ بالتدريج إلى تركه. وتركُ الأعمال الدينيّة، يُوصل الإنسان إلى ترك الدين. كما أنّه إذا أفهم القلب أهمّيّة العبادات والمناسك ينصرف عن هذه الغفلة والتساهل، وينتبه من هذا النوم الثقيل.

تفكّر قليلاً في حالاتك وراجع أخبار أهل بيت العصمة، وشمّر عن ساعد الجدّ، وفهّم النفس بالتفكّر والتدبّر أنّ هذه المناسك، وخصوصاً الصَلاة، وبالأخصّ الفرائض منها، سبب السّعادة والحياة في عالم الآخرة، ومنبعُ الكمالات ورأس مال الحياة في تلك النشأة...

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون:٤-٥. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون:١-٢. ففاقدُ الخشوع في صلاته ليس من أهل الإيمان والفلاح، وتكفي لأهل التفكّر والتدبّر هاتان الآيتان؛ فالويلُ لمن قال الله تعالى في حقّه: (**الويلُ له**)، وإنّ شيئاً يذكره العظيم المطلق بهذه العظمة والأهمّيّة، فمعلومٌ ما ينتج عنه من الظّلمة والوحشة والنقمة.

(بتصرّف)

من أذكار الصّباح والمساء
«هذا من الدّعاء المَخزون»

الفيض الكاشاني رحمه الله

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ الأحزاب:٤١، فكثرة الذِّكر من صفات المؤمن، وهو محمودٌ ومطلوبٌ في كلّ وقت، ومن محطّاته التي ورد الحثّ عليها، إذا أصبح المؤمن وأمسى.

ما يلي، وقفةٌ مع بعض أذكار الأنبياء والأئمّة عليهم السلام من كتاب (الوافي) للفيض الكاشاني رحمه الله.

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، قَالَ: «كَتَبْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي (الإمام الجواد) عليه السلام، أَسْأَلُه أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً.

فَكَتَبَ إِلَيَّ: **تَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتَ وأَمْسَيْتَ: (اللهُ اللهُ رَبِّيَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لَا أُشْرِكُ بِه شَيْئاً)، وإِنْ زِدْتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ، ثُمَّ تَدْعُو بِمَا بَدَا لَكَ فِي حَاجَتِكَ، فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ بِإِذْنِ الله تَعَالَى، يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ».**

بيان: «فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ» يعني هذا القول صالحٌ لكلّ شيء تطلبه من الله بعده، فإذا قدّمته ثمّ تسأل حاجتك تُستجاب لك بإذن الله...

* عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام، قال: «**لَا تَدَعْ أَنْ تَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَصْبَحْتَ، وثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَمْسَيْتَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي دِرْعِكَ الْحَصِينَةِ الَّتِي تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ تُرِيدُ)، فَإِنَّ أَبِي عليهِ السّلام كَانَ يَقُولُ: هَذَا مِنَ الدُّعَاءِ الْمَخْزُونِ**».

* عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (الباقر) عليه السّلام، قَالَ: **مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ فِي ذِمَّتِكَ وجِوَارِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ دِينِي ونَفْسِي ودُنْيَايَ وآخِرَتِي وأَهْلِي ومَالِي، وأَعُوذُ بِكَ يَا عَظِيمُ مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ جَمِيعاً، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يُبْلِسُ بِه إِبْلِيسُ وجُنُودُه)، إِذَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَضُرَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ شَيْءٌ، وإِذَا أَمْسَى فَقَالَه لَمْ يَضُرَّه تِلْكَ اللَّيْلَةَ شَيْءٌ، إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى».**

* عَنْ صَفْوَانَ، عَمَّنْ ذَكَرَه، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَه عَلِّمْنِي شَيْئاً أَقُولُه إِذَا أَصْبَحْتُ وإِذَا أَمْسَيْتُ.

فَقَالَ: **قُلْ: (الْحَمْدُ لله الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ولَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُه، الْحَمْدُ لله كَمَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُحْمَدَ، الْحَمْدُ لله كَمَا هُوَ أَهْلُه، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيه مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ، وأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْه مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ، وصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ)».**

أذكار الأنبياء على نبيّنا وآله وعليهم السلام

* عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (الإمام الباقر) عليه السلام، قَالَ: «قُلْتُ لَه مَا عَنَى بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾؟ قَالَ: **كَلِمَاتٍ بَالَغَ فِيهِنَّ**. (أي إبراهيم عليه السلام)

قُلْتُ: ومَا هُنَّ؟

قَالَ: **كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: (أَصْبَحْتُ ورَبِّي مَحْمُودٌ، أَصْبَحْتُ لَا أُشْرِكُ بِالله شَيْئاً، ولَا أَدْعُو مَعَه إِلَهاً، ولَا أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ وَلِيّاً)، ثَلَاثاً، وإِذَا أَمْسَى قَالَهَا ثَلَاثاً، قَالَ: فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فِي كِتَابِه: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾.**

قُلْتُ: فَمَا عَنَى بِقَوْلِه فِي نُوحٍ: ﴿..إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾؟

(قَالَ: **كَلِمَاتٍ بَالَغَ فِيهِنَّ**.

قُلْتُ: ومَا هُنَّ؟

قَالَ: **كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: (أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ مَا أَصْبَحَتْ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عَافِيَةٍ، فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، فَإِنَّهَا مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِك، ولَكَ الشُّكْرُ كَثِيراً)، كَانَ يَقُولُهَا إِذَا أَصْبَحَ ثَلَاثاً، وإِذَا أَمْسَى ثَلَاثاً...»**.

محاورة حول التوحيد والتشبيه والتوسُّل بالأولياء الصالحين

الشِّرك بتَشبيهه تعالى، لا بابتغاء الوسيلة إليه

إعداد: فاضل محمّد *

في ما يلي، محاورة افتراضية بين وهّابي ومسلم شيعي، تنطوي على أهمية تاريخية وراهنة لجهة الموضوعات العقائدية التي تطرّقت إليها. وقد أعدّها ونظم سياقها الباحث الإسلامي فاضل محمّد، وركّز فيها على السجال المديد الذي شغل العالم الإسلامي قديماً وحديثاً حول مجموعة من العناوين الأساسية مثل: الشفاعة، والتوسّل بالأولياء والصالحين، والنذر لهم، وزيارة قبورهم والبناء عليها وتزيينها.

نشير في هذا الصدد إلى أنّ العناوين المذكورة أعلاه، هي جزء من هذه المحاورة العقائدية التي كانت ولمّا تزل مدار جدالٍ لم ينتهِ بين الوهّابية وسائر المسلمين السنّة والشيعة.

يمهّد الباحث فاضل محمّد لهذا «الحوار» بالحديث عن لقاءٍ حصل بين رجلَين في مكانٍ عامّ؛ فلمّا تبيّن لأحداهما — وهو الوهّابي — أنّ الآخر مسلم شيعي، طلب إليه أن يناظره في عقائده، فكان له ما أراد. وسنشير في المتن إلى أسئلة الوهّابي أو إجاباته بعلامة (-)، وإلى إجابات المسلم بعلامة (*).

- قال (الوهّابي): سأحدّثك، أولاً، عن مفردات مذهبنا. إنّ المنحى العقائدي لدينا هو المسلك المعروف عند الشيخ ابن تيميّة. فمثلاً إنّنا لا نؤوّل الآيات القرآنية، بل نحملها على ظاهرها، فنثبت ما أثبته الله تعالى لذاته من يَدَين وعينَين وجهة الفوق والاستواء، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿..يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ..﴾ الفتح:١٠، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ النجم:٧، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه:٥.

*** فقلت (المسلم الشيعي): إنّ أخذ الآيات والروايات على دلالتها الحرفية من دون تأويلٍ أمر يرفضه العقل السليم قبل كلّ شيء، وترفضه سيرة العرب الذين كانوا يستخدمون الألفاظ في معانيها المجازية أكثر ممّا يستعملونها في الحقيقة. فقد ثبت في المباحث العقائدية أنّ الله تعالى ليس بجسم وإلّا للزمَ احتياج بعض الأجزاء إلى بعضها الآخر، وللزم كونه حادثاً؛ لأنّ الأجسام كلّها حادثة... إلخ.**

وكلّ ذلك باطل. فالمراد من (يد الله) المعنى المجازي، أي قدرة الله، و(الاستواء) يعني الاستيلاء والسيطرة، و(الرؤية) تحمَل على الرؤية القلبية رؤية البصيرة، وهكذا بقيّة المجازات.

* من كتابه (حوار عقائدي حول التوسُّل بالأولياء والصالحين)

- دعنا نتحاور حول التوحيد، فهو جوهر الدين، إنّ التوحيد عندنا على قسمَين:

أ - توحيد الربوبية: أي إنّ الربّ هو الله تعالى وحده، فنوحّده في ربوبيّته.

ب - توحيد العبادة: بأن تكون العبادة كلّها لله تعالى.

*** هذا الكلام يقوله كلّ المسلمين، ولا ميزة لكم فيه.**

- نعم، ولكنّكم تعبدون الله تعالى عبر الوسائط، وهذا نوع شرك، فلم يتحقّق منكم التوحيد الخالص.

*** ماذا تقصد بالوسائط؟**

- كالأموات من الأولياء والصالحين، فإنّكم تتوسّلون بهم وهذا شِركٌ في العبادة، بل كفرٌ صريح.

*** أرجو أن توضّح لي معنى الشرك والكفر عندكم، وبعدها سأجيبك عن موضوع الوسائط.**

- الشرك عندنا على قسمين: أكبر وأصغر، الأكبر هو الشرك في العبادة، مثل الشفاعة والتوسّل بالأولياء. والأصغر، مثل: الحلف بغير الله والرياء.

والكفر عندنا على قسمين أيضاً: كفر مطلق، بأن يكفر الإنسان بجميع ما أتى به الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وكفر مقيّد، بأن يكفر ببعض ما أتى به النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

*** والمسلمون في نظركم؛ كفّار أم مشركون؟**

- إنّهم على الشرك ما زالوا، لأنّهم لا يعبدون الله تعالى إلاّ عبر الوسائط والوسائل ويحلفون بغير الله تعالى.

* ليس هناك كفر مطلق وكفر مقيّد كما تدّعي، فالكفر يقابل الإيمان، والكفر: عبارة عن عدم الإيمان ممّن شأنه أن يكون مؤمناً. والإيمان اصطلاحاً: التصديق والاعتقاد بكلّ ما جاء به النبيّ ولو إجمالاً. وعلى هذا، فالكفر معناه تكذيب ما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله، ولا يوجد من المسلمين اليوم من يكذّب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

أمّا الشِّرك فهو أخصّ من الكفر، وهو أنواع:

أ - شرك في الذات الإلهية: بأن يعتقد الإنسان بوجود إلهَين أو أكثر.

ب - شرك في الصفات الإلهية: بأن يعتقد الإنسان بأنّ هناك مَن له نفس صفات الله.

ج - شرك في العبادة الإلهية: بأن يعبد مع الله إلهاً آخر أو يعبد غيره.

د - شرك بالاستعانة: يعتمد الإنسان على غير الله تعالى بنحوٍ مستقلّ، ويعتقد أنّه يؤثّر من دون الله تعالى.

فهذه الأقسام كلّها باطلة وهي من الشرك المحرّم. وأمّا الاستعانة بالله عبر الأسباب (كالأموات من الأولياء والصالحين أو الأوصياء) فهو ليس شِركاً، ومن موارده في قصّة يوسف عليه السلام، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ..﴾ يوسف:٤٢، وذلك عندما استعان برفيقه الذي كان معه في السجن كما حكى الله تعالى ذلك.

فهل يكون النبيّ يوسف عليه السلام، مشركاً لأنّه استعان بغير الله؟

يا أخي! إنّ الله تعالى خلق الكون عبر الأسباب والعِلل، وجعل كلّ شيءٍ ضمن هذا القانون العام، حتّى نصْر الأنبياء كان ضمن هذه المعادلة، وليس كلّ مَن استعان بسببٍ من الأسباب يوصَم بالشرك. وأمّا توسّلنا بالأولياء فلأنّ لهم مقاماً شامخاً كريماً عند الله، ولهم الشفاعة أيضاً.

الشفاعة

- دعنا نتوقّف عند الشفاعة بما أنّك قد ذكرتها. كيف تستطيع أن توجّه موضوع الشفاعة، مع أنّها عقيدة باطلة؟ كيف يكتب الله تعالى على الإنسان أنّه من أهل النار ثمّ يقوم الشفيع بإخراجه منها، فهذا خلاف علم الله تعالى؟

* ولماذا تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ ألَمْ يقرع سمعك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ طه:١٠٩، وقوله تعالى: ﴿..مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ..﴾ البقرة:٢٥٥، وقوله تعالى: ﴿..وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء:٢٨، والحديث المتّفق عند المسلمين: «لِكلِّ نبيٍّ دعوةٌ قد دعا بها فاسْتُجيب، فَجَعلتُ دَعوتِي شَفاعَتي لِأُمّتي يَومَ القِيامة».

فالشفاعة إذنٌ ورخصةٌ من الله تعالى يُعطيها لمَن رضيَ له قولاً ولمَن أذِنَ له، فبعد هذا الإذن الإلهي أصبحت الشفاعة من خصائص النبيّ أو الإمام ومن شؤونه، فنسأله في ذلك. فالشفيع ليس له أيّ تأثيرٍ لولا إذْن الله له، والشفيع لا يطلب من الله إبطال قانون

> **حجَّ المنصورُ العباسيّ وزار قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال لمالك بن أنَس: يا أبا عبد الله، أستقبلُ القبلةَ وأدعو، أم أستقبلُ رسولَ الله؟ فقال مالك: لِمَ تصرفُ وجهَك عنه وهو وسيلتُك ووسيلةُ أبيك آدمَ إلى الله؟ بل استقبله!**

العدل الإلهيّ، ولا أنّ شفاعته تخالف علم الله تعالى، بل يعمل الشفيع على أن:

أ - يتمسّك بصفات في المولى سبحانه عزّ وجلّ تُوجب العفو.

ب - أو يعرض صفات في العبد تستدعي العفو.

ج - أو يعرض صفاته؛ من قبيل قُربه من الله تعالى وكرامته عليه.

وهكذا تتمّ الشفاعة. فنحن نسأل النبيّ الشفاعة بعد التسليم بأنّها منحةٌ من الله تعالى. ثم إنّ محمّد بن عبد الوهّاب قد ذكر في (الهدية السنيّة) في الرسالة الثانية: «ونُثبت الشفاعة لنبيّنا محمّد يوم القيامة، ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد».

- ولكن كيف يغيّر النبيّ قضاء الله تعالى في المذنبين؟

* الشفاعة مثل التوبة، فإنّ التوبة تُغيّر موضوع المذنب ليشمله العفو الإلهي، وكذلك الشفاعة، وهكذا الاستغفار.

- ولكن العفو والتجاوز من الله نفسه لا من غيره.

* الشفاعة أيضاً من الله تعالى. ألَمْ تسمع الآيات؟

- نعم صحيح! وهذا كلام جميل، ولكن بقيت مفردة لم نتناولها في موضوع الأولياء.

* وما هي؟

- ألا تعتقد أنّ الاستغاثة بالأولياء في الدنيا مع أنّهم أموات أمر يرفضه العقل ولا يستسيغه؟ مضافاً إلى أنّ ذلك دعاءٌ لغير الله، وهو محرّم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ الأعراف:١٩٧، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ..﴾ الأعراف:١٩٤، وواضح مدى شجب القرآن لهذه الظاهرة. فلماذا تخاطبون المعدومين إذن؟

*** أولاً: الموت ليس عدماً كما تراه، بل هو نقلة من هذا العالم المادّي الطبيعي إلى عالمٍ آخَر، وهو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد، لا موت الروح: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ ..﴾ آل عمران:١٦٩.**

ثانياً: لقد جَسَّد النبيّ صلّى الله عليه وآله، هذه العقيدة بقوله وفعله حيث قال: «زُوروا القُبور فإنَّها تُذكِّركُم بالآخِرة»، أخرجه النسائي في (السُّنن)، وابن ماجة في (السُّنن)، والغزالي في (إحياء العلوم).

وبفعله صلّى الله عليه وآله، عندما زار قبور شهداء أُحد وزار قبر أمّه السيّدة آمنة عليها السلام وبكى عندها، كما في (سيرة) ابن هشام، فإذا كان الموت عدماً، فلماذا يأمر النبيّ بزيارة القبور؟ ولماذا يمارس ذلك بنفسه؟

وثالثاً: إنّ الله تعالى هو الذي أجاز لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ..﴾ المائدة:٣٥.

والوسيلة هنا نوعان:

التوسّل إلى الله بالعمل الصالح، ولا إشكال فيه.

التوسّل إلى الله بالذوات، أي بالأشخاص.

والثاني ينقسم إلى نوعين:

قبل الموت: كما في قوله تعالى: ﴿..وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ النساء:٦٤، وهذا أيضاً واضح.

بعد الموت، وهو جائز؛ لما عرفتَ من أنّ الموت ليس عدَماً وأنّ المسلمين كافّة يمارسون هذه العقيدة. وكما قالوا: إنّ أكبر دليل على إمكان الشيء وقوعُه، وقد عرفنا بالتجربة والوجدان أنّ الوليّ الميّت يؤثِّر ويجلب النفع ويدفع الضرّ بإذن الله تعالى. فإذا كان كذلك دعانا العقلُ إلى التوسّل به.

وروي أنّه «لمّا حجَّ المنصور العباسي وزار قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله، سأل الإمام مالك، وقال: يا أبا عبد الله، أستقبلُ القبلةَ وأدعو، أم أستقبل رسولَ الله؟

فقال مالك: لِمَ تصرفُ وجهَك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله، بل استقبله»...

وقد عرفتَ سابقاً أنّ عقيدتنا في تأثير الأولياء كونها تأتي بعد الإذن والرُّخصة من الله تعالى، كما تؤثِّر الملائكة تماماً، فما المانع فيه؟ فكلّ إشكال تُورده هنا يرد على تصرّفات الملائكة أيضاً.

وأما الآية التي ذكرتها: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ ..﴾ الأعراف:١٩٧، فقد نزلت وهي تشجب عمل المشركين الذين يعتقدون أنّ أصنامهم الحجرية، أو أنّ زعماءهم الوثنيّين يؤثّرون تأثيراً استقلالياً.

زيارة القبور والبناء عليها

- نعم، قد أتّفق معك في ذلك، ولكن هل تعتقد أنّ الوليّ الميّت بحاجة إلى النذور؟ ألا تعتقد أنّ النحر والقرابين للأولياء مشابه للقرابين التي كان يُقدِّمها المشركون لأصنامهم؟ أليسَ ذلك شركاً صريحاً منكم، مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ الكوثر:٢، فالنحر لله وحده.

*** حقيقة النذر أنّه لله تعالى وحده لا شريك له، ونحن عندما نَنحر أو ننذر للأولياء عليهم السلام، فإنّما النذر في الحقيقة لله تعالى، ولكن نهدي ثوابه لهم، صلوات الله عليهم، لا أكثر.**

وأمّا ما استدلّ به البعض من قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، على أنّ الآية تتكلّم عن كون النَّحر لله تعالى، فغلط؛ إذ قد ورد في لغة العرب عن كلمة (النحر) معنى الاستقبال. تقول العرب: منازلنا تتناحر أي تتقابل، وجاءت هذه الكلمة في الآية بمعنى رفع اليدين إلى النَّحر كما روي عن الأئمّة عليهم السلام.

وأما اختيار بعض الأمكنة للنذر فطلباً لشرف المكان لكي يتضاعف ثواب العبادة، كما يُختار بعض الأزمنة الشريفة لأجل ذلك.

هذا وإن كان معنى (النَّحر) المراد منه في الآية نحر الحيوان، فهذا أيضاً لا بأس به، فقد عرفت أنّنا نَنحر لله تعالى ولكن نرفع ثواب هذا النّحر للولي، ونجعله باسمه تقرّباً إلى الله تعالى.

- ولكن قبل أن تتعدّد الفروع أعود معك إلى أصل زيارة القبور فإنّها قبيحة عقلاً؛ لأنّها تشبه عكوف المشركين على أصنامهم؛ ولذلك نهى صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، حتّى عن زيارته ومنع من شدّ الرحال إليه.

*** قلت لك سابقاً إنّ الميّت ليس معدوماً بل هو كائنٌ حيّ بثوب آخر. ثمّ إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، قد زار قبر أمّه وقبر عمّه حمزة، وزارت فاطمة الزهراء عليها السلام قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله كلّ يوم، وزار أمير المؤمنين عليه السلام قبر النبيّ وقبر فاطمة عليها السلام.**

ويذكر السمهودي في (وفاء الوفاء) أنّ عُمر لمّا قدم من فتوح الشام كان أوّل ما بدأ بالمسجد والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقدوم بلال من الشام إلى المدينة لزيارة قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله، بل هذا ما دأب عليه المسلمون، بل العقل يدعو إلى تعظيم مَن عظّمهُ الله تعالى، والزيارة نوع تعظيم.

وأمّا قولك إنّها عكوفٌ كالمشركين، فأقول لك: إذا كان العكوف هو الذي جعل الزيارة شركاً، فالمسلمون كلّهم مشركون، لأنّهم يعكفون حول بيت الله تعالى.

فإذا قلت: إنّ الفرق بالقصد والنيّة، فإنّ المسلمين يقصدون الله وهم عاكفون حول البيت الحرام.

قلنا: أيضاً زيارتنا للقبور فيها قصد ونيّة لله تعالى، وهي بذلك تفترق عن المشركين.

وقد أخرج البيهقي والغزالي أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله، قال: «مَن زارني وَجَبَت لهُ شَفاعتي»، وقال: «مَنْ حَجَّ ولمْ يَزُرْنِي فَقد جَفانِي»، وقال: «زُوروا القُبورَ فإنَّها تُذكّركُم المَوت».

- أخبرني... لماذا تبنون على القبور مع أنّ هذا العمل فيه مخالفة شرعية صريحة لقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «أن لا أدع قبراً مُشرِفاً إلا سوّيته».

*** أولاً: سند الحديث ضعيف بل راويه (أبو الهياج) الذي قال في حقّه أحمد بن حنبل: إنّه أخطأ في خمسمائة حديث. وفي سنده سفيان الثوري المدلّس، وفي سنده أبو وائل وهو مبغض لعليٍّ عليه السلام...إلخ.**

ثانياً: أمّا متن الحديث، فإنّ لفظة (التسوية) تعني الاعتدال بين الارتفاع العظيم وبين الهدم الماحي للأثَر، والدليل أنّ الشريعة الإسلامية جاءت باستحباب رفع القبر شبراً أو أربع أصابع عن الأرض. فالشريعة أقرّت البناء المرتفع عن الأرض بهذا المقدار، فالحديث الذي استدللتَ به لا ربط له بعدم جواز البناء أبداً.

ثالثاً: نقول: لسنا (الشيعة) المنفردين بالبناء على القبور، فهذا قبر النبيّ إبراهيم عليه السلام، في الأردن له قباب وأضرحة، وقبر موسى عليه السلام، في الأردن [هذان القبران منسوبان إليهما عليهما السلام] **بين القدس وعمّان له بناية كبيرة، وقبر أبي حنيفة ببغداد، وقبر أبي هريرة في مصر، وقبر عبد القادر في بغداد، فضلاً عن قبور الملوك والعظماء، ولم يعترض على هذه الأبنية من المسلمين أحد، فالأصل الجواز.**

رابعاً: بناء قبور الأنبياء والأولياء والعظماء دليل اهتمام الأمّة بأولئك العظام، وإرشاد الناس إليهم وربطهم بهم من خلال هذه الأضرحة، فالاهتمام بالقبور يمثّل حالة حضارية ومدنية، وتخليداً لذكرى الصالحين وتدويناً لتاريخ الأمّة.

- ولكنّكم لا تكتفون بالبناء بل تسرفون الأموال على تزيين هذه القبور بمختلف الزينة، وهذا محرّم قطعاً لأنّه إسراف واضح، مع عدم حاجة الوليّ إليه ولا ينتفع به.

*** إذا كان اعتراضك على الزينة الذهبية والإضاءة الكهربائية وبقيّة الأشياء التي تُزيّن قبور الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فماذا تقول عن حلَل الكعبة التي تعادل قيمتها الملايين؟ فإذا كان اعتراضك على زينة الأضرحة أنّ الميّت لا يستفيد منها فكذا الحال في حلل الكعبة التي تُبدّل كلّ عام، وهكذا في الهدايا الثمينة التي كانت تُهدى إلى بيت الله الحرام من أيام الجاهلية وإلى اليوم، فقد وجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، سبعين ألف أوقيّة من الذهب، فقيل له: لو استعنتَ بها على حروبك، فلم يفعل وأبقاها على حالها، وكذا الخليفة الأول، فهذه الزينة نوع من إبراز التعظيم ورفع شعيرة من الشعائر.**

وكلّ إشكال تورده على زينة قبور الأولياء فهو بنفسه يرد على زينة بيت الله الحرام مع عدم حاجة الله إليها، ثمّ إنّنا لم ندّعِ أنّ الميّت يستفيد منها كما تزعم، وإنّما هي مجموع هدايا وهبات أو تسهيل الأمر للزائرين بالنسبة إلى الإضاءة وما شابه.

كفى خداعاً....

التطرّف اليوم .... أمويّ لا خارجيّ!

الشيخ حسن فرحان المالكي*

تُضيء هذه المقالة للباحث الحجازي الشيخ حسن فرحان المالكي على قضيّة راهنة في غاية الأهميّة والخطورة، وهذه القضيّة هي ظاهرة التكفير والقتل التي تتجدّد وتستشري اليوم في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها.

غاية المقالة الكشفُ عن جذور التكفير في التاريخ الإسلاميّ حيث تعود الحالة التكفيريّة الراهنة إلى أصلها الأمويّ، وليس كما يُزعم إلى الفِرق الخارجيّة التي حفل بها تاريخ الإسلام الأوّل، والتي جاء معظمها كردّة فعل على الجَور الأمويّ.

«شعائر»

نحن في خدعة شيطانيّة كُبرى؛ خُدعنا بالمنافقين الذين تسمّوا بأفضل الأسماء وارتكبوا أبشع الأعمال؛ حذّرنا الله من المنافقين وقال: ﴿..هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ..﴾ (المنافقون:٤)؛ لكن الأمّة لم تأخذ تحذير الله على محمل الجدّ، فأهملوا دراسة النفاق والبحث عن أسماء المنافقين وعلاماتهم!

لا يجوز أن نُخادع أنفسنا كلّ مرّة.. فالإرهاب له مدارسُه ورموزه.. التي تتّصل ببني أُميّة لا الخوارج.

لا ينتمي الغُلاة والمتطرّفون اليوم لفرقة من فرق الخوارج، وليس في رموز هذا التطرّف والغلوّ والإرهاب اليوم رمز من رموز الخوارج.

كلّ هذا الخداع في إلصاق التطرّف بالخوارج هو هروب من مواجهة الحقيقة المرّة، فهؤلاء الذين يقتلوننا اليوم ويفجّرون حتّى المساجد يتبرؤون من الخوارج ويبدّعونهم.. ولكنّهم بلا فخر ينتمون لمدارس ورموز معروفة مشهورة.. لا داعي لذكر الأسماء ... فالجميع قد عرف..

أثرُ الخوارج الأوّلين انتهى؛ أثرُ تكفيرهم ومقالاتهم انتهت؛ إنّما التكفير الأمويّ والعنف الأمويّ هو الفاعل اليوم على الساحة الإسلاميّة كلّها، من منبج إلى المكلا (اليمن)؛ ومن أندونسيسا إلى نيجيريا؛ ومن الكرّادة العراقيّة إلى القاع اللبناني؛ ومن إسطنبول إلى بروكسل؛ ومن مساجد القطيف والأحساء إلى المسجد النبويّ بالمدينة المنوّرة...

الأمر واضح جدّاً! والاختبار والتمحيص الإلهيّ مستمرّ؛ لا ينقطع؛ ليعلم الصادقَ منّا والكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت:٢-٣)

كشفُ التطرّف الأمويّ والرموز الأمويّة والتراث الأمويّ هو الفاعل في محاربة التطرّف اليوم، وهو الذي سيُحرج الغلاة ويُخرجهم من جُحورهم للعلن، بدلاً من الاستعانة بهم كناقش الشكّة بالشوكة.. يجب أن يتبيّن الجميع، سواء المباشرين أو القعدة أو الداعين في كلّ قنوت؛ بنصرة المسلمين (ويقصدون أنفسهم) على الكفّار والمشركين (ويعنون سواهم)..

التكفير صناعة أُمويّة

التكفير الأمويّ معروف في التاريخ؛ ابتدأ بتكفير الإمام عليّ بن أبي طالب ولعنه على المنابر؛ وتكفير حجر بن عديّ الصحابيّ المشهور (زعم الشهود من فقهاء الأمويّين وأعيانهم في الكوفة أنّ حجر بن عديّ كفر كفرةً صلعاء)؛ وهم الذين انتجوا مَن كفّر أبا حنيفة والمذاهب كافّة - فيما بعد - أو على الأقلّ؛ يستحلّون دماءهم بحكم أنّهم مبتدعة يجب أن يُستتابوا وإلّا فالسيف. كلّ هذا فكرٌ أمويّ لا خارجيّ.

أيضاً بنو أُميّة هم الذين يَتجرّأون على المساجد؛ فاستهداف الحرمين نهج أمويّ؛ استباحوا المدينة عام ٦٣ للهجرة وتركوا خيولهم تروث في المسجد النبويّ؛ وهم من هدموا الكعبة مرّتين؛ عام ٦٤ وعام ٧٣ للهجرة؛ هذا الاستهداف للمساجد والحرمين له أصل أمويّ، وهذه الحساسيّة المفرطة تجاه الشيعة أمويّة.

والأهم؛ أنّ الصّلة بين غُلاة اليوم وبني أُميّة ورموزهم وتراثهم أصيلة جدّاً! بينما الصّلة بين غُلاة اليوم والخوارج منعدمة جدّاً؛

* مفكّر إسلاميّ من الحجاز

هذا هو المهمّ. اقرأُوا كُتب «داعش» اليوم، وستجدونها متّصلة برموز أمويّة الهوى؛ كابن تيميّة ومدارسه؛ ثمّ بمتطرّفي الحنابلة في القرن الثالث والرابع؛ ثمّ بمن فوقهم؛ وهكذا؛ حتّى يصلوا لدحيم والأوزاعيّ وحريز بن عثمان وخالد بن معدان ورجاء بن حيوة وأسعد الحرازيّ ..إلخ.

والحنابلة المُكَفِّرونَ المُتقدّمون واضحون جدّاً؛ وهم المذهب الوحيد الذي له مؤلّفات عديدة في فضل معاوية ويزيد..

هذا القسم من التكفير والتطرّف الأمويّ مخفيّ عمداً، وهو الفاعل على الساحة الإسلاميّة شرقاً وغرباً؛ لا يريد الغلاة مناقشته ولا كشفه؛ ويحاربون مَن يريد ذلك.. لأنّه حقٌّ ثقيل؛ ومُحرِجٌ كثيراً؛ واللهُ يبتلينا؛ هل سنغيّر ما بأنفسنا - من تعظيم للقتلَة والمجرمين - أم سنتبرّأ منهم؟!

«داعش» المؤتمَنة على التُّراث السفياني

يريدون أن يزعموا بأنّ هؤلاء القتلة خوارج... وفقط. حتّى ولو لم يكن هناك أي صِلة بين «الدواعش» والخوارج. بينما الصِّلة بينهم وبين بعض المدارس المغالية أوضح من الشمس؛ وصِلة تلك المدارس المغالية بابن تيميّة أوضح من الشمس؛ وصِلة ابن تيميّة بغُلاة الحنابلة المتقدّمين أوضح من الشمس - وقد ذمّ معتدليهم كابن الجوزيّ الذي حاول تخليص الحنابلة من النّصب وألّف كتاباً في جواز لعن يزيد وأنّه مذهب أحمد، لكن ابن تيميّة نصر الفريق الحنبليّ الآخر الذي له مؤلّفات في فضل يزيد ومعاوية؛ كابن أبي يعلى الفرّاء، وعبد المغيث الحربيّ وأمثالهم.

ثمّ؛ صِلةُ غُلاة الحنابلة بالسلفيّة الأمويّة المتقدّمة؛ الذين كانوا في حاضنة الدولة الأمويّة؛ وشرّعوا لها قتلَ المُخالف لسياستها وتكفيره واضحة، وإنْ كان أقلّ وضوحاً من سابقاتها، وهنا معركة الباحث وعبقريّته إن أراد. مهمّةُ الباحث هنا إيجادُ الصِّلة بين غُلاة الحنابلة وبني أُميّة.

ما هو الاعتدال السلفيّ القديم الذي لم يتبع النهج الأمويّ؟ وما هو التطرّف السلفيّ الذي كان تابعاً للدولة الأمويّة.. والذي تشرّب الروح الأمويّة ونفسيّاتها وأحاديثها وعقائدها وتزكيتها للذات وفتاواها الدمويّة ...الخ؟

أظنّ أنّه بقليل من الإنصاف والبحث والربط، نستطيع - ولأوّل مرّة - أن نثبت صِلة «داعش» ببني أُميّة، وهي الحقيقة التي طالما حرص السلفيّون من قديم على نفيها وإلصاق التطرّف بالخوارج هروباً واعتباطاً.

الخوارج أخفّ حالاً من بني أُميّة؛ باستثناء «الأزارقة» وبعض «المحكّمة الأولى»؛ وقد انتهوا؛ فلا تراث لهم ولا تلاميذ ولا مدارس ولا شيء.. الأمويّون أشدّ؛ هم الذين قتلوا أهل بدر - ٢٥ بدريّاً - وهم الذين قتلوا أهل بيعة الرضوان وأبناءهم - حوالي ٧٠٠ مسلم يوم الحرّة - وهم الذين لعنوا عليّاً ومن يحبّه على المنابر؛ وهم الذين استباحوا المدينة سنة ٦٣ للهجرة؛ وهم من سَبوا نساء المهاجرين والأنصار لمدّة ثلاثة أيّام؛ وهم الذين ذبحوا الحسين وأهل بيته بكربلاء قبل سنة ٦١ للهجرة؛ وهم الذين نبشوا قبور مخالفيهم؛ وقلّدهم بنو العبّاس فنبشوا قبورهم؛ وهم الذين قتلوا حِجراً وأصحابه؛ وهم الذين قتلوا عمرو بن الحمق الخزاعيّ - بَدْرِيّ - وهم الذين أمروا بالبيعة على البراءة ممّن يَبرؤون منه من الفضلاء؛ وهم الذين حكموا تسعين عاماً؛ وهم الذين أنتجوا معظم الأحاديث أو تصرّفوا فيها؛ ثمّ أنتجوا التبديع والتكفير؛ وهم الذين ذبحوا المعارضين باسم الرِّدّة والكفر.

الأمويّون ورَثةُ «المنافقين»

الأمويّون هم الذين أكثروا من إطلاق الألقاب على المخالفين (رافضة، وغيرها..) ثمّ فرّعوا هؤلاء إلى فروع كثيرة، وتبعتهم كتبُ المقالات .. وحذفوا (نواصب) من قائمة الفِرق والمذاهب! فتبعهم أصحاب المقالات والفِرق أيضاً؛ فلم يذكروا هذا اللقب (نواصب) في كُتب الفِرق والمذاهب! وكأنّ اللقب لم تكن له دولة تَلعن على كلّ منبر وتقتل فوق كلّ حجر ومدَر!

نحن في خدعة شيطانيّة كبرى؛ خُدعنا بالمنافقين الذين تسمّوا بأفضل الأسماء وارتكبوا أبشع الأعمال؛ حذّرنا الله من المنافقين وقال: ﴿..هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ..﴾ لكنّ الأمّة لم تأخذ تحذير الله على محمل الجدّ، فأهملوا دراسة النفاق والبحث عن أسماء المنافقين وعلاماتهم، فوصلوا للسطلة وأنتجوا التطرّف، والتفّوا على الدين، وعطّلوا القرآن وغاياته، ووضعوا الأحاديث المُحرِجة، وشوّهوا سيرة النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وشوّهوا الإسلام، وحاربوا الإسلام بالإسلام ..إلخ.

تأخّرنا كثيراً؛ ولم يعد الحلّ ممكناً لكشف كلّ النفاق وآثاره ورموزه.. لكن يكفي أن نكشف التطرّف القريب الذي هو ابن التطرّف الأخير في القرون الثلاثة الماضية، الذي هو ابن التطرّف في القرن الثامن الهجريّ ... إلى هنا يكفي كجرعة أولى للعلاج..

بيتٌ استعبدَ اللّٰه به خَلْقه
من أسرار الحجّ

العلامة الشيخ جعفر السبحاني

أرسل الله، تبارك تعالى، جميعَ الأنبياء لمحاربة الشِّرك وعبادة الأصنام، ولِفهم هذا الأمر بشكلٍ واضح؛ يكفينا الوقوف عند هذه الآية الشريفة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء:٢٥. توضح هذه الآية المباركة، وبشكلٍ جليٍّ، بأنّ من أهمّ واجبات الأنبياء إزالة مظاهر الشرك بأنواعه كافّة، في كلّ آن ومكان.

من هنا، ومن خلال أخذ هذا الأصل بنظر الاعتبار، فإنّ بعض الأعمال في الصلاة ومراسم الحجّ تبدو في ظاهر الحال وكأنّها لا تتلاءم مع مبدأ التوحيد؛ من قبيل: التوجّه نحو الكعبة أثناء الصلاة، وما هي سوى أحجار وطين، أو لمس (الحجر الأسود) باليد، وهو أيضاً لا يعدو كونه جماداً، أو السعي بين جبلَي الصفا والمروة، وغيرها من الأعمال. وعليه يفرض هذا التساؤل نفسه، ما هو السرّ الكامن في هذه الأعمال والواجبات؟ وما هو وجه الاختلاف بينها وبين أعمال المشركين؟

وقبل البدء في بيان أسرار هذه الأعمال، نُشير إلى أنّ هذا التساؤل سبق أن طُرح قديماً. ففي عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام حضر ابن أبي العوجاء - زعيم الماديّين آنذاك - مع جماعة من أصحابه عند الإمام الصادق عليه السلام، وتوجّه له بالسؤال التالي: «يا أبا عبد الله! إنّ المجالس أمانات، ولا بدّ لكلّ من به سُعالٌ من أن يَسعُل، أتأذن لي في الكلام؟

فقال عليه السلام: **تَكَلَّمْ!**

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدَر، وتهرولون حوله هرولةَ البعير إذا نفر! إنّ مَن فكر في هذا وقدّر، علم أنّ هذا فعلٌ أَسَّسَهُ غيرُ حكيمٍ ولا ذي نظر. فقُل فإنّك رأسُ هذا الأمر وسَنامه، وأبوك أُسّه وتمامه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **إنَّ مَنْ أَضَـلَّهُ الله وَأَعْمَـى قَلْـبَهُ اسْتَوْخَمَ الحَقَّ وَلَمْ يَسْتَعْذِبْهُ، وَصَارَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ وَرَبَّهُ وَقَرِينَهُ، يُورِدُهُ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ ثُمَّ لاَ يُصْدِرُهُ.**

وَهَذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ، فَحَثَّهُمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَزِيَارَتِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلَّ أَنْبِيَائِهِ، وَقِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ إِلَيْهِ، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِهِ، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِوَاءِ الكَمَالِ، وَمُجْتَمَعِ العَظَمَةِ وَالجَلاَلِ، خَلَقَهُ الله قَبْلَ دَحْوِ الأَرْضِ بِأَلْفَي عَامٍ، فَأَحَقُّ مَنْ أُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ، وانْتُهِيَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ: اللهُ المُنْشِئُ لِلأَرْوَاحِ وَالصُّوَرِ».

فمن خلال المنطق القويم والحديث الحكيم، كشف الإمام الصادق عليه السلام النقاب عن بعض أسرار الحجّ. حيث سننقل نفحَات ورشحات من حديثه المبارك، وحديث سائر أئمّة الهدى الوارد في الإجابة عن هذا السؤال: والهدف المتوخّى من وراء هذا النقل، الإشارة إلى قِدَم هذا السؤال، ليتّضح لنا بأن هذه التساؤلات، كان لها حضورٌ في أذهان الناس.

سرّ التوجّه إزاء الكعبة أثناء الصلاة

على العكس ممّا كان يجول في ذهن ابن أبي العوجاء، المادّيّ المعروف في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فانّ الهدف من التوجّه نحو الكعبة أثناء الصلاة، لا يعني عبادة الكعبة أو حجرها وطينها. فإنّ جميع المصلّين يعبدون الله تعالى، وحالَ توجّههم نحو الكعبة، فإنّ الجميع يخاطب الله الواحد الأحد بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. والعلّة في توجّهنا نحو الكعبة حال الصّلاة، تكمن في أنّ الكعبة تُعدّ أقدمَ معبدٍ وبيتٍ للتوحيد، بُني بأيدي أنبياء الله العظام للموحّدين من أهل الأرض، ولا يسبقه في هذا القِدَم أيّ معبد آخر، كما يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران:٩٦.

إنّ الشريعة الإسلاميّة المُقدّسة، ومن أجل إيجاد الوحدة بين المصلّين، وتوحيد صفوف المُتَوَسّلين، أوجبت على الجميع أداء الصلاة بلُغة واحدة، والتوجّه إلى أقدم المعابد حال الصلاة، لتحفظ من خلال هذا السبيل وحدتهم حال العبادة والتعبّد؛ أي أن يتفوّه ملايين البشر في آنٍ واحد بكلامٍ واحد، ويتّجهون نحو نقطة واحدة، وأن يُعلنوا وحدتهم واتّحادهم بشكلٍ واضحٍ وعَلَنيّ. وبناءً على ذلك، فإنّ التوجّه نحو هذا المعبد ليس بمعنى عبادته، بل بمعنى جعْله رمزاً لوحدتهم واتّحادهم حال العبادة.

لقد كان المسلمون في صدر الإسلام، يُقيمون الصلوات جماعة، وصلاة الجماعة من المُستحبّات المؤكّدة في الإسلام. فلو أراد جمعٌ أداءَ فريضة ما معاً، عليهم أن يتوجّهوا جميعاً إلى وجهة واحدة، وبغير هذه الصورة لا يُمكن أداء الفريضة.

إنّ نبيّ الإسلام والمسلمين جميعاً، ظلّوا يصلّون لفترة من الزمن متّجهين في صلاتهم تلك نحو المسجد الأقصى، إلاّ أنّه وبعد سبعة عشر شهراً من تاريخ الهجرة، جاء الأمر بأن يتّجه المسلمون نحو المسجد الحرام والكعبة حيثما كانوا، لأسباب وعلل ذُكِرت في محلّها. قال الله عزّ وجلّ: ﴿...فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ...﴾ البقرة:١٤٤.

لقد ذكّر الإمام الصادق عليه السلام هذا المعترِض المادّي في عصره بواحدة من أسرار التوجّه نحو الكعبة حال الصّلاة وقال: «**وَهَذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ، فَحَثَّهُمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَزِيَارَتِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلَّ أَنْبِيَائِهِ، وَقِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ إِلَيْهِ، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِهِ**».

استلامُ (الحجر الأسود) باليَد

يستفاد من الأحاديث الإسلاميّة، أنّ بناء الكعبة كان موجوداً، قبل عصر سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وأنّ جداره تهدّم عقب طوفان نوح عليه السلام. وبعد أن أُمِرَ النبيّ إبراهيم بإعادة بناء الكعبة، وَضَعَ «الحجر الأسود»... بأمرٍ من الله تعالى في جدارها. والآن يطرح هذا السؤال: لماذا نستلم هذا الحجر بأيدينا؟ وما هو الهدف من هذا العمل؟

وجواب ذلك: أنّ استلامَ الحجر ووضْعَ اليد عليه، يعدّ نوعاً من العهد والبيعة مع سيّدنا إبراهيم لمحاربة مظاهر الشرك وعبادة الأوثان بأنواعها كافّة، أسوةً ببطل التوحيد، وأن لا ننحرف عن الحنيفيّة، ولا نخرج عن جادّة التوحيد في مظاهر الحياة كافّة.

وتتمّ البيعة مع الفرد أحياناً، بمصافحة يده وغمْزها، أو بمسك طرف الثوب، وأحياناً أُخرى تتمّ بشكل آخر. ونقرأ في التاريخ عندما نزلت الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ...﴾ (الممتحنة:١٢)، فإنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله أمر بإحضار إناءٍ فيه ماء، ووضع يده المباركة فيه، ثمّ أخرجها من الماء وقال: «**أَدْخِلْنَ أَيدِيَكُنَّ فِي هَذَا المَاءِ فَهِيَ البَيعَةُ**».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «.. وَقُلْ عِنْدَ اسْتِلامِكَ الحَجَرَ (الأسود): أَمانتي أَدَّيْتُها وَميثاقي تَعاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لي بِالمُوافاة»

الغرَضُ من مناسك الحجّ، تجسيدُ العناوين التّوحيدية التي أسّس لها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وبلغتْ كمالها بنبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله

ومن هنا فإنّ مُبايعة رسول الله تمّت عن طريق وضْع اليد في شيءٍ، وضَعَ النبيُّ صلّى الله عليه وآله يده فيه. ومسألة استلام «الحجر الأسود» من هذا القبيل أيضاً.

فالهدف، إذاً، هو أن نبايع إبراهيم عليه السلام ونبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وآله على صيانة التوحيد. لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وَقُلْ عِنْدَ اسْتِلامِكَ الحَجَرَ: أَمانتي أَدَّيْتُها وَميثاقي تَعاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ لي بِالْمُوافاةِ**».

يقول ابن عبّاس: «واستلامه اليوم - أي الحجر - بيعةٌ لمن لم يُدرك بيعةَ رسول الله صلّى الله عليه وآله».

وبناءً على ذلك فإنّ الهدفَ من تقبيل الحجر واستلامه، تجسيدٌ لميثاقٍ قلبيّ مركزهُ روحُ الإنسان. وحقيقة الأمر، أنّ زائري بيت الله بعملهم هذا، يجسّدون ذلك الميثاق القلبيّ على هيئة أمرٍ ملموسٍ ومحسوس.

وفي الكثير من بلدان العالم، يقدّس الجنود أعلام بلدانهم، ويقفون أمامها بإجلال وإكبار مُجدّدين العهد باليمين. ومن المسلّم به، أن العَلَم بضعة أمتار من القماش ليس إلاّ، لكنّه يُمثّل رمز استقلال البلد، وعنوان إرادته الوطنيّة والشعبيّة. وفي هذه الحالة، فإنّ الجندي بدلاً من مصافحة أيدي الناس أو القادة وغمْزها، فإنّه يشير إلى العلَم ويؤدّي اليمين والعهد. وستقرأ في الجزء الآخر من الجواب، بأنّ الهدف من بعض مراسم الحجّ، هو تجسيدُ نوع من الحقائق، التي جسّدت نفسها عن طريق أعمال الحجّ.

السّعي بين الصفا والمَروة

إنّ حُجّاج بيت الله الحرام، ومن خلال السّعي بين الصفا والمَروة، يجسّدون حالة السيّدة هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام. وبشهادة التاريخ، فإنّها عليها السلام - ومن دون أن تيأس من رحمة الله تعالى - سَعَتْ في تلك الصحراء القَفْر من الزرع والماء، سبعَ مرّات بين ذَينك الجبليْن بحثاً عن الماء، وفي نهاية المطاف شملها لطف الله تعالى، ونالت مقصودها، وبعد أن فار الماء تحت أقدام إسماعيل عليه السلام نجت هي وابنها من العطش.

ويستفاد من بعض الأحاديث، بأنّ الشيطان قد تجسّد لسيّدنا إبراهيم عليه السلام في هذا المكان، وأخذ يعقّبه في سعيه، ليُبعده عن حرم بيت الله. وبأدائنا لهذا العمل، إنّما نجسّد ذلك العمل المعنويّ. وبذبح القرابين في صحراء منى، فإنّنا نُحيي ذكرى فداء سيّدنا إبراهيم عليه السلام الذي ضحّى بكلّ شيء في سبيل الله، حتّى ولده.

الهدف من رمي الجَمَرات

إنّ حجّاج بيت الله الحرام يرجمون في أيّام العاشر والحادي عشر والثاني عشر، أعمدةً مُعيّنة في أرض مِنى (قرب مكّة) بالحجر. وبهذا العمل فإنّهم يرمون في الظاهر نقطة معيّنة بالحجر، إلاّ أنّهم يرجمون الشيطان في باطنهم.

والأحاديث الإسلاميّة بيّنت ماهية هذا العمل بقولها: إنّ الشيطان قد تجسّد لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الأماكن الثلاثة هذه، ورَجَمَهُ إبراهيم بالحجر ليظهر تنفّره منه. وبقيَ عمل إبراهيم هذا سُنّةً إلهية في أعمال الحجّ.

إنّ حجّاج بيت التوحيد، وإظهاراً لنفرتهم من الشيطان والشياطين، يرجمون تلك النقطة بالحجر تعبيراً عن إبراهيميّتهم. وبهذا الشكل فإنّهم يعبّرون عن غضبهم من كلّ موجود شرّير خبيث ونجِس. وإنّ النفرة من النجاسة وهي أمر معنويّ وقلبيّ، يعبّرون عنها بهذه الطريقة بشكل ملموس ومحسوس.

واليوم فإنّ الشعوب المستضعفة، التي تعاني الظلم والجور، تقوم بإحراق أعلام الدول المستكبرة السلطوية، والعلم ليس أكثر من بضعةِ أمتار من القماش الملوّن. إلاّ أنّ الشعوب - ومن أجل إظهار غضبها تجاه الفظائع والجرائم التي ترتكبها القوى العظمى- تقوم بإحراق رموزهم، وكأنّهم قاموا بإحراقهم وإبادتهم والقضاء عليهم، وعلى الأقلّ فإنّ هذا العمل يُبيّن انزعاجهم الشديد من أولئك الظّلمة.

وخلاصة القول: إنّ الذي يتأمّل في تاريخ فرائض الحجّ، يتلمّس الحقيقة التالية: وهي أنّ الكثير من هذه الأعمال، الغرضُ منها تجسيد طائفة من الذكريات البنّاءة من حياة سيّدنا إبراهيم عليه السلام وسيرته، ومجموعة من الأمور المعنوية والأخلاقية، التي تؤدّى بسلسلة من الأعمال بشكل نموذجي ومنظّم، وليس الغرض منها عبادة الحجر والطين والجبل مطلقاً.

المجاهدُ بسَيفه وبيانه

صَعْصَعَة بنُ صُوحان العَبدي القَطيفي

إعداد: سليمان بيضون

*** رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما كانَ مَعَ أميرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَنْ يَعْرِفُ حَقَّهُ إلّا صَعْصَعَةُ وَأَصْحابُهُ».**

*** هو حاملُ لواء أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل بعد استشهاد أخوَيه، وكان في حرب صفّين رسولَ الإمام عليه السلام إلى معاوية، ومن أُمراء الجيش، والراوي للوقائع.**

*** من شهود وصيّة الإمام عليه السلام وراوي عهده الخالد إلى مالك الأشتر.**

*** أثنى عليه أصحاب التراجم بقولهم: «كان شريفاً، أميراً، فصيحاً، مُفَوّهاً، خطيباً، لسِناً، ديّناً، فاضلاً».**

*** أُعدّت هذه الترجمة استناداً إلى مصادر عدّة، أبرزها (الأعلام من الصّحابة والتابعين) لمؤلّفه الحاجّ حسين الشاكريّ.**

صَعْصَعَة بن صُوحان بن حجر بن الحارث العبديّ، من سادات عبد القيس، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار؛ وُلِدَ في «دارين» قرب القطيف، وكان مسلماً على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقيل: لم يرَه. له أخوان «زيد» و«سَيْحان» استُشهدا يوم الجمل.

قبل خلافة الأمير عليه السلام

* لم يُذكر لصَعصعة مواقف من مسألة الخلافة، ولكن رُويت له مواقف تعبّر عن جرأته في قول الحقّ، منها ما جاء في (الاستيعاب) لابن عبد البرّ: «أنّ عمر بن الخطّاب قسّم المال الذي بعث إليه أبو موسى وكان ألفَ ألفِ درهم، وفضلت منه فَضْلة، فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً... وقال: أيّها الناس، قد بقيتْ لكم فَضْلةٌ بعد حقوق الناس، فما تقولون فيها؟

فقام صعصعة بن صوحان وهو غلامٌ شابّ فقال: يا أمير المؤمنين! إنّما تُشاور الناس فيما لم يُنزِل اللهُ فيه قرآناً، أمّا ما أَنزل الله به القرآن ووَضَعه مواضِعه، فضَعه في مواضعه التي وضَعَه اللهُ تعالى فيها.

فقال: صدقْتَ! أنت منّي وأنا منك. فقسَّمَه بين المسلمين».

* ويروي هو فيقول: «دخلتُ على عثمان بن عفّان في نفرٍ من المصريّين، فقال عثمان: قدِّموا رجلاً منكم يكلِّمني، فقدَّموني.

فقال عثمان: هذا؟ وكأنّه استَحدَثَني. (أي استصغر سِنّه)

فقلت له: إنّ العِلم لو كان بالسِّنّ لم يكن لي ولا لك فيه سهمٌ،

قرية دارين في القطيف، مكان ولادة صعصعة بن صوحان رضوان الله عليه

ولكنّه بالتعلّم.

فقال عثمان: هات.

فقلت: بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ الحج:٤١.

فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية.

فقلتُ له: فَأْمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر».

* وكانت بين صعصعة وعثمان مواقف أدّت إلى أن نُفي إلى الشام مع مالك الأشتر ورجالاتٍ من الكوفة، وعندما ثار الناس على عثمان، واتّفقوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وبايعوه، قام جمع منهم فتكلّموا، وتكلّم صعصعة، فقال: «واللهِ يا أمير المؤمنين! لقد زيّنتَ الخلافة وما زانَتْكَ، ورفعتَها وما رَفَعَتْكَ، ولَهيَ إليك أحوجُ منك إليها».

من مواقفه يوم (الجمل)

* قال محمّد بن الحسن القمّيّ في (العقد النّضيد): «جاء في الآثار أنّه لمّا خرجت عائشة نحو البصرة ومعها طلحة والزبير، كتبتْ إلى صعصعة بن صوحان العبديّ: (...من عائشة بنت أبي بكر زوجة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلى صعصعة بن صوحان: أيّها الولد، فإنّي خرجت ومعي طلحة والزبير قاصدين البصرة بِطلَب دم الخليفة المظلوم عثمان بن عفّان، فساعةَ تقفُ على كتابي هذا فَاكسِرْ سَيفك، والزَمْ بيتك، ولا تخالِفْ قولي أيّها الولد، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

فكتب صعصعة الجواب: (بسم الله الرّحمن الرّحيم، من صعصعة بن صوحان، صاحبِ رسول الله صلّى الله عليه وآله

«مسجد صعصعة بن صوحان» في الكوفة قريباً من مسجد السهلة المعظّم

وسلّم، إلى أُمّ المؤمنين عائشة: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك أيّتها الأُمّ، تأمُريني فيه بما أَمَرَكِ الله تعالى به من لزوم البيت وترك الجهاد، لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ..﴾ الأحزاب:٣٢-٣٣، وتفعلين أنتِ ما أمَرَني الله به من الجهاد، وهذا عجيب! لأنّي لو قيل: مَن أعقل الناس؟ لما عَدَوْتُكِ، فاتّقي الله أيّتها الأُمّ، وارجعي إلى البيت الذي أَمَرَكِ رسولُ الله ﷺ بلزومه، فإنّي في أَثَر كتابي هذا خارجٌ نحو عليٍّ عليه السلام للبَيعة التي في عُنقي، والسلام على مَن اتّبع الهدى)».

* ولمّا وقعت المعركة كانت راية أمير المؤمنين عليه السلام بيد سَيْحان أخي صعصعة، وقد طاعن بها حتى قُتل، فحملها من بعده أخوه زيد، وراح يقاتل، فتعطّف عليه أشرار أهل البصرة - أصحاب الجمل - وقتلوه، فأخذ صعصعةُ الراية.

رسول الإمام عليه السلام لمعاوية بعد (الجمل)

قال المسعوديّ في (مروج الذهب): «لمّا انصرف عليٌّ عليه السلام من حرب الجمل، قال لآذِنِه: **مَنْ بِالبابِ مِنْ وُجوهِ العَرَبِ؟**

قال: محمّد بن عمير بن عطارد التميميّ، والأحنف بن قيس، وصعصعة بن صوحان، في رجالٍ سمّاهم.

فقال: **ائذَنْ لَهُمْ.**

فدخلوا فسلّموا عليه بالخلافة، فقال لهم: **أَنْتُمْ وُجوهُ العَرَبِ عِنْدي، وَرُؤساءُ أَصْحابي، فَأَشيروا عَلَيّ في أَمْرِ هَذا الغُلامِ المُتْرَفِ** - يعني معاوية - فافتنّت بهم المشورة عليه (أي توسّعوا في الكلام).

فقال صعصعة: إنّ معاوية أترفَه الهوى، وحُبّبت إليه الدُّنيا، فهانت عليه مصارعُ الرجال، وابتاع آخِرتَه بدُنياهم، فإنْ تعمل فيه برأي تُرشد وتُصيب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبكَ يا أمير المؤمنين، والرأيُ أنْ ترسلَ له عيناً من عيونك وثقةً من ثقاتك، بكتابٍ تدعوه إلى بيعتك، فإنْ أجاب وأناب كان له ما لكَ وعليه ما عليك، وإلّا جاهدتَه وصبرتَ لقضاء الله حتّى يأتيَك اليقين.

فقال الإمام عليّ عليه السلام: **عَزَمْتُ عَلَيْكَ، يا صَعْصَعَةُ، إِلّا كَتَبْتَ الكِتابَ بِيَدِكَ، وَتَوَجَّهْتَ بِهِ إِلى مُعاوِيَةَ، وَاجْعَلْ صَدْرَ الكِتابِ تَحْذيراً وَتَخْويفاً، وَعَجْزَهُ اسْتِتابَةً... وَلْيَكُنْ فاتِحَةَ الكِتابِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَميرِ المُؤْمِنينَ إِلى مُعاوِيَةَ: سَلامٌ عَلَيْكَ، أَمّا بَعْدُ، ثُمَّ اكْتُبْ ما أَشَرْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاجْعَلْ عُنْوانَ الكِتابِ ﴿..أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ الشورى:٥٣.**

قال صعصعة: اعْفِني يا أمير المؤمنين من ذلك.

قال: **عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَفْعَلَنَّ.**

قال: أفعلُ إن شاء الله، فخرج بالكتاب وتجهّز وسار حتّى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال للآذِن: استَأذِنْ لِرسول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وبالباب أَزْفَلة [جماعة] من بني أميّة، فأخذته الأيدي لقوله، وهو يقول ﴿..أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ..﴾ غافر:٢٨، وكثُرت الجَلَبة واللّغط، فاتّصل ذلك

بمعاوية، فوجّه مَن يكشفُ الناس عنه، فكشفوا، ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال لهم: من هذا الرجل؟

فقالوا رجلٌ من العرب، يُقال له صعصعة بن صوحان، معه كتابٌ من عليّ.

فقال: واللهِ لقد بلغني أمرُه، هذا أحدُ سهامِ عليٍّ وخطباء العرب، ولقد كنتُ إلى لقائه شيّقاً، ائذن له يا غلام.

فدخل عليه، فقال: السّلام عليك يا ابنَ أبي سفيان، هذا كتابُ أمير المؤمنين.

فقال معاوية: أما إنّه لو كانت الرُّسل تُقتل في الجاهليّة أو الإسلام لقتلتُك [وجرى نقاش طويل فيما بينهم].

ثمّ قال معاوية: لشيءٍ ما سَوَّدَه قومُه، وددتُ والله أنّي من صُلبه، ثم التفتَ إلى بني أميّة وقال: هكذا فلتَكُن الرجال». (انظر أيضاً: موسوعة الإمام عليّ عليه السلام للريشهري: ١٦٥/ ١٢، رقم ٦٥٥٦)

في صفّين

* كان لصَعصعة حضورٌ بارزٌ في صِفّين، فكان رسولَ الإمام عليه السلام إلى معسكر معاوية، ورواي وقائع عدّة فيها، من ذلك أنّه لمّا استولى جيش معاوية على ماء الفرات ومنعوا جيش الإمام منه، استدعى الإمام صعصعة قائلا له: «**إئْتِ مُعاوِيَةَ فَقُلْ: إنّا سِرْنا مَسيرَنا هَذا، وَأَنا أَكْرَهُ قِتالَكُمْ قبلَ الإعْذارِ إليكم، وإنَّك قَدِمْتَ بِخَيْلِك فَقاتَلْتَنا قَبْلَ أَنْ نُقاتِلَكَ؛ بَدَأْتَنا بِالقِتالِ وَنَحْنُ مَنْ رَأَيْنا الكَفَّ عَنْكَ حَتَّى نَدْعُوَكَ وَنَحْتَجَّ عَلَيْكَ، وَقَدْ حُلْتُمْ بَيْنَ النّاسِ وَبَيْنَ الماءِ، فَخَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَتّى نَنْظُرَ فيما بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، وَفيما قَدِمْنا لَهُ وَقَدِمْتُمْ، وَإِنْ كانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ نَدَعَ ما جِئْنا لَهُ وَنَدَعَ النّاسَ يَقْتَتِلونَ عَلى الماءِ حَتّى يَكونَ الغالِبُ هُوَ الشّارِبُ، فَعَلْنا**».

فاستشار معاوية أصحابَه، فأجمعوا على منع الماء عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ممّن تكلّم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخو عثمان بالرضاعة، فقال لمعاوية: امنَعْهُم الماءَ إلى الليل، فإنّهم إنْ لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماءَ مَنَعَهم اللهُ يومَ القيامة!

فقال له صعصعة: إنّما يمنعُه اللهُ يومَ القيامة الكفرةَ الفجرةَ شَرَبة الخمر، ضَرْبُكَ وَضَرْبُ [أي أمثالك وأمثال] هذا الفاسق – وأشار إلى الوليد بن عقبة – فوثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل فإنّه رسول.

* وهو الراوي لأحد المواقف البطوليّة لمالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه، حيث يقول صعصعة: «ثمّ هجَم الأشتر ومَن معه على الفرات، وأقبلَ يضربُ بسيفه على جيش الشام بقيادة أبي الأعور السلميّ، فكشفهم عن الماء واستولى على الشريعة، وهو يرتجزُ ويقول:

لا تَذَكّروا ما قَد مَضى وَفاتا ... واللهُ رَبّي باعِثُ الأمْواتا

من بَعْدِ ما صاروا صَدًى رُفاتا ... لأَوْرِدَنَّ خَيْلي الفُراتا

شَعِثَ النّواصي أَوْ يُقال ماتا».

* وهو يروي قصّة اقتراح أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية أن يبارزه، وقول عمرو بن العاص له: «لقد أنصفَك عليٌّ من نفسه»، وبقيّة الواقعة المعروفة.

صَعصعة يكلّم الخوارج

قال الشيخ المفيد في (الاختصاص): «لمّا بعثَ عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، صعصعةَ بن صوحان إلى الخوارج، قالوا له: أرأيتَ لو كان عليٌّ معنا في موضعنا، أتكون معه؟

قال: نعم.

«مقام صعصعة» في قرية عسكَر في البحرين

قالوا: فأنتَ إذاً مقلّدٌ عليّاً دينَك، ارجعْ فلا دِينَ لك!

فقال لهم صَعصعة: ويلكم! ألا أُقلّدُ مَن قلّدَ اللهَ فأحسن التقليدَ، فاضطلعَ بأمر الله صِدّيقاً لم يزَل؟ أوَلم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إذا اشتدّت الحربُ قدّمه في لَهواتها فيَطأُ صِماخَها بأَخْمَصِه، ويُخمِدُ لَهَبَها بِحَدِّه، مكدوداً في ذات الله... فأنّى تُصرَفون، وأين تَذهبون، وإلى مَن ترغبون، وعمّن تَصدِفون!؟

خفيفُ المؤونة كثيرُ المعونة

* جاء في كتاب (الغارات) لإبراهيم الثّقفي الكوفيّ، عن أحمد بن النّضر، أنّ الإمام الرضا عليه السلام قال له: «**يا أَحْمَدُ، إنَّ**

أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ عادَ صَعْصَعَةَ بْنَ صُوحان في مَرَضِهِ، فقالَ: (يا صَعْصَعَةُ، لا تَتَّخِذْ عِيادَتي لَكَ أُبَّهَةً عَلى قَوْمِكَ).

قال: قال صَعْصَعة: بلى والله، أُعِدُّها مِنّةً من الله عليّ وفضلاً.

قال: فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (**إِنّي كُنْتُ ما عَلِمْتُكَ إِلّا خَفيفَ الْمَؤونَةِ حَسَنَ الْمَعونَةِ**). قال: فقال صَعصَعة: وأنت والله، يا أمير المؤمنين، ما علِمتُك إلّا بالله عليماً وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً».

* وروى أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبيّين) «أنّ صَعصعة بن صوحان استأذن على عليّ عليه السلام - وقد أتاه عائداً لمّا ضربه ابن ملجم لعنَه الله - فلم يكن عليه إذن، فقال صعصعة للآذن: قُل له، يَرحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميّتاً، فلقد كان اللهُ في صدرك عظيماً، ولقد كنتَ بكلمات الله عليماً. فأبلغَه الآذِنُ ذلك.

فقال عليه السلام: [قل له] **وَأَنْتَ يَرْحَمُكَ الله، فَلَقَدْ كُنْتَ خَفيفَ الْمَؤونَةِ كَثيرَ الْمَعونَةِ**».

* ورُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمّاه: «**الخَطِيب الشَّحْشَح**»، أي الخطيب الماهر الذي يمضي في خطبته.

* ولمّا استُشهد أمير أمير المؤمنين عليه السلام، وأُلحد في قبره الشريف بالغَريّ قبل طلوع الفجر من ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، وقف أبناؤه وخُلَّصُ أصحابه على ضريحه وهم في حالة حزن وبكاء، وكان من جملة أصحابه صَعصعة بن صوحان العبديّ، فوقف على شفير القبر واضعاً إحدى يدَيه على فؤاده، والأخرى قد أخذ بها الترابَ يضربُ به رأسه، وقال:

«هَنيئاً لك يا أبا الحسَن، فلقد طابَ مولِدُك، وقَويَ صبرُكَ، وعَظُمَ جِهادُك، وظَفَرْتَ بِرَأيِكَ، ورَبِحَتْ تجارتُك، وقَدِمْتَ إلى خالقِكَ فتلقّاكَ بِبشارتِهِ، وحَفّتكَ ملائكتُه، واستَقْرَرتَ في جِوارِ المصطفى، فأكْرَمَكَ اللهُ وألحَقَكَ بِدرجتِه، وشَرِبْتَ بِكأسِه الأَوْفى، فأَسألُ اللهَ أنْ يَمُنَّ علينا باقتِفاءِ أَثَرِكَ، والعَملِ بِسيرَتِكَ، والمُوالاةِ لِأوليائكَ والمُعاداةِ لأعدائِكَ، وأنْ يَحشُرَنا في زُمرةِ أوليائِكَ الصّالِحينَ، فقد نِلْتَ ما لَمْ يَنَلْهُ أحدٌ، وأدرَكْتَ ما لَمْ يُدرِكْهُ أحدٌ، وجاهَدْتَ في سبيلِ رَبِّكَ بين يَدَي أخيكَ المُصطفى حَقَّ جِهادِه، وقُمْتَ بين يَدي اللهِ حَقَّ القيامِ حَتّى أقَمْتَ السُّنَنَ، وأبَرْتَ الفِتَنَ، واستَقامَ الإسلامُ، وانتَظَمَ الإيمانُ، فَعَليكَ مِنّي أَفضلُ الصّلاةِ والسّلامِ «..» فواللهِ لقد كانت حَياتُكَ مَفاتِحَ الخيرِ ومَغالِقَ الشّرِّ، وإنَّ يومَكَ هذا مفتاحُ كُلِّ شَرٍّ ومِغلاقُ كلِّ خَيرٍ، ولَو أنَّ النّاسَ قَبِلوا منكَ، لَأكَلوا مِن فَوقِهم ومِن تحتِ أرجُلِهم، ولكنّهُم آثَروا الدُّنيا على الآخِرَة»، ثمّ بكى بكاء شديداً، وبكى كلُّ من كان معه.

وفاته

تُوفِّي صَعصعة بن صوحان في الكوفة بالعراق حسب كتاب (الوافي) للصّفدي، وذكر ابنُ سعد في (طبقاته) أن صَعْصَعه تُوفِّي في الكوفة أيّام مُلكِ معاوية، ولصعصعة رضوان الله عليه مسجدٌ مسمّى باسمه في الكوفة وآخر لأخيه زيد، ولمسجد صعصعة - قريباً من مسجد السّهلة - في الكوفة أعمال مذكورة في كُتب

جانب من المقام بعد تخريبه من قِبل أزلام نظام البحرين

الأدعية، كما ذكروا أنّ له فضائل وكرامات يتناقلها الخلَفُ عن السلف.

وقال الزّركلي في (الأعلام)، وغيرُه: أنّ المغيرة بن شعبة نفاه من الكوفة إلى جزيرة «أوال» في البحرين بأمرٍ من معاوية لمّا اشتدّ اعتراضُه عليه، فمات فيها سنة ٥٦ هجرية عن عمرٍ يناهز السبعين عاماً. وله مقامٌ في البحرين في قرية عَسْكَر، على ٢٥ كيلومتراً من المنامة العاصمة، وهو مزارٌ مشهور، ويُعدّ أقدم موقع إسلامي على الإطلاق في البحرين.

وفي السابع والعشرين من تمّوز الفائت (٢٠١٦م) تعرّض مقام الصحابيّ صعصعة بن صوحان في قرية (عسكر) لعملية اعتداء وتخريب من قبل أزلام النظام الملكي في البحرين، طالت الضريح والأبواب والجدران ومحتويات المقام.

هذا وتتعمّد السلطات المحلية عدم توفير الحراسة الأمنية للمقام، استفزازاً لمشاعر المسلمين والموالين، ويأتي هذا العمل التخريبي استكمالاً لحملة هدم المساجد التي شرع فيها النظام البحريني منذ سنوات.

أدبُ الجِدال في القرآن الكريم

السيّد علي الحسيني الميلاني

إنّ صاحب أيّة فكرة أو عقيدة أو رأي يرى من حقّه الطبيعيّ أنْ ينشرها بين الناس ويدعو الآخرين إليها. إلاّ أنّ لتقدّمه ونجاحه في مشروع الدعوة هذه شروطاً، كما أنّ دعوته إلى فكره بحاجة إلى أدوات، لا سيّما إذا كان في مقابل رأيه رأيٌ آخر وله أتباع يدعون إليه... فيقع حينها الصراع العقيديّ والفكريّ بين الجانِبَيْن، لأنّ كُلّاً منهما يدّعي الحقّ والصواب ويحاول التغلّب على الآخر والسيطرة عليه فكريّاً.

إنّ للتغلّب في ميدان الصراع العقيدي أصولاً وأدواتٍ تختلف عنها في ميدان الحرب والمواجهة العسكريّة. ولقد وضع العقلاء - وهم أصحاب الأفكار والآراء - حدوداً وقيوداً للصراع في هذا المجال، وأسّسوا للغَلبة فيه أُسساً جعلوها المعيار والميزان للرضوخ لفكر أو لرفض فكرٍ آخر، فكانت أساليب «الجدل» التي بُحث عنها ونقّحت مسائلها في كُتب المنطق.

ولقد أحسنوا في اختيار هذا المصطلح لهذا العلم أو لهذه الصناعة، لشدّة ارتباط المعنى اللّغويّ للكلمة بالغرض المنطقيّ منها. قال الراغب الأصفهاني: «الجدالُ: هو المُفاوَضَةُ على سَبيلِ المُنازَعة والمُغالَبة، وأصله: مِن جَدَلْتُ الحَبلَ: إذا أحكَمْتَ فَتْلَه... فكأنَّ المُتجادِلَيْنِ يَفْتِلُ كلُّ واحِدٍ الآخَرَ عَنْ رَأْيِه. وقيل: الأصلُ في الجدالِ الصِّراعُ، وإسقاطُ الإنسانِ صاحِبَهُ على الجَدالَةِ، وَهِيَ الأَرْضُ الصَّلْبَةُ».

الجدال في القرآن

أقرّت الأديان السماويّة أسلوبَ «الجدال» واتّخذه الأنبياء السّابقون عليهم السلام طريقاً من طُرق الدعوة، وقد ورد في القرآن الكريم نماذجُ من ذلك.

وأمّا نبيّنا صلى الله عليه وآله، ففي الوقت الذي أُرسل كما خاطبه الله، عزّ وجلّ، في الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾. فقد حدّد له كيفيّة الدعوة وأداتها بقوله له: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ...﴾. ثمّ أمره بالجدال حين يكون هناك جدالٌ منهم، فقال بعد ذلك: ﴿..وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ..﴾.

وفي الجملة، فإنّ الوظيفة الأوّلية هي البلاغ والدعوة إلى سبيل الله، فإنْ كان هناك مَن تنفعه «الحكمة» فَبِها، وإن كان من عموم الناس فبالنصيحة والموعظة الحسنة، فإنْ وجد في القوم من يريد الوقوف أمامه أو التغلّب عليه وجب عليه جِداله.

ولعلّ المقصود - هنا - أهل الكتاب، كما في الآية الأُخرى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾.

وعلى ضوء ما تقدّم، فإنّ الجدال قد يكون حقّاً وقد يكون باطلاً، قال تعالى: ﴿..وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ..﴾.

وهناك في القرآن الكريم موارد من تعليم الله سبحانه النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم طريقة الاستدلال. كذلك جاءت في القرآن الكريم موارد كثيرة من مجادلات واحتجاجات الأنبياء السابقين. ثمّ إنّه قد جاء التعبير عن «الجدال بالباطل» بـ«الجدال بغير سلطان» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ..﴾. و«السلطان» هو «الحجّة»؛ سُمّيت به لسيطرتها وتسلّطها على القلوب.

ومنه يفهم أنّ المراد من «الجدال بالحقّ»، هو «الجدال بالحجّة». لكنّ «الحجّة» إنّما يحصل لها «السلطان» على القلوب إذا كانت ﴿.. بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾؛ فلِذا أمر الله تعالى بذلك. وفي هذا إشارة إلى آداب البحث والمناظرة والجدل.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ..﴾. أي: بأن يتكلّموا مع المشركين بالطريقة التي لا تعود بالفائدة على الشيطان في تحصيل مقاصده من الوقيعة بين الخَلق، فالله سبحانه يريد من المؤمنين أن يكون جِدالهم مقروناً بما يعينهم في إقامة الحجّة وإفحام الخصوم وظهور الحقّ على الباطل.

والخلاصة، إنّ الجدال المقبول شرعاً وعقلاً هو الجدال بـ«الحُجّة المعتبرة»، مع رعاية أدب الجدال والحوار.

وصيةُ الحكيم الإلهيّ ابن مَسْكَوَيْه

الانتصارُ على هوى النفس

إعداد: «شعائر»

شهد التاريخُ الإسلاميّ على حكيم إلهيّ كان له الحضور الأبرز في ميدان التأسيس لفلسفة الأخلاق. عنينا به الفيلسوفَ الشهير أبا عليّ الخازن، أحمد بن محمّد بن يعقوب، المعروف بـ«ابن مسكويه». [مَسْكَوَيْه لفظة أعجميّة تعني رائحة المسك]

ولعلّ أهمّ كُتبه في حقل الحكمة الأخلاقيّة، كتابه: (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)، وقد اشتهر به؛ وله أيضاً نحو سبعة عشر مؤلّفاً دارت جميعاً مدار آداب المعاملة وفنون المعاشرة الفاضلة، وعلوم السير والسلوك.

ويُجمع المحقّقون على أن ابن مَسْكَوَيْه المولود في مدينة الريّ في إيران (توفّي عام ٤٢١ للهجرة/١٠٣٠م) هو أوّل علماء الإسلام الذين كتبوا في علم الأخلاق بمفهومه العلميّ الفلسفيّ، كما لمع نجمه في الفلسفة حتّى لقبه البعض بـ«المعلّم الثالث» بعد أرسطو والفارابي.

يُذكر أنّه قرأ (تاريخ الطبري) على أحمد بن كامل القاضي، ودرس علوم الأوائل على يد أبي الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام المعروف بـ«ابن الخمّار»، الذي كان بارعاً بالطبّ، وماهرًا في العلوم الحكميّة، وخبيرًا بالترجمة، حيث نقل كتبًا كثيرة باللّغة السريانيّة إلى العربيّة.

ما نحن بصدده هنا، هي واحدة من أبرز وصاياه الأخلاقيّة، وتتعلّق بالصّفات والأفعال المحمودة التي على الإنسان العاقل الأخذ بها ليبلغ كماله وسعادته.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عاهد عليه أحمدُ بن محمّد، وهو يومئذ آمِنٌ في سربه، معافىً في جسمه، عنده قوتُ يومه، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورةُ نفسٍ ولا بدن، ولا يريد بها مراءاةَ مخلوق، ولا استجلابَ منفعةٍ ولا دَفْعَ مضرّةٍ منهم. عاهدَه على أن يُجاهد نفسه ويتفقّد أمره فَيَعِفَّ وَيَشْجُعَ وَيَحْكُم.

* **وعلامةُ عفّته**: أن يقتصد في مآرب بدنه حتّى لا يحمله الشَّرَهُ على ما يضرّ جسمه أو يهتكَ مروءته.

* **وعلامةُ شجاعته**: أن يحارب دواعيَ نفسه الذميمة حتّى لا تقهره شهوةٌ قبيحة، ولا غضبٌ في غير موضعه.

* **وعلامةُ حكمته**: أن يستبصرَ في اعتقاداته حتّى لا يفوته بقدر طاقته شيءٌ من العلوم والمعارف الصالحة؛ ليُصلِحَ أوّلاً نفسه ويهذّبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتُها التي هي العدالة، وعلى أن يتمسّك بهذه التّذْكِرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها؛ وهي خمسة عشر باباً:

١- إيثارُ الحقّ على الباطل في الاعتقادات، والصّدقِ على الكذب في الأقوال، والخيرِ على الشرّ في الأفعال.

٢- وكثرةُ الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرءِ وبين نفسه.

٣- والتمسّكُ بالشريعة ولزوم وظائفها.

٤- وحفظُ المواعيد حتّى ينجزها؛ وأوّلُ ذلك ما بيني وبين الله جلّ وعزّ.

٥- وقلّةُ الثقة بالناس بترك الاسترسال.

٦- ومحبّةُ الجميل لأنّه جميل؛ لا لغير ذلك.

٧- والصّمتُ في أوقات حركات النفسِ للكلام حتّى يُستشار فيه العقل.

٨- وحفظُ الحال التي تحصل في شيء، حتى تصير ملَكَةً ولا تفسدَ بالاسترسال.

٩- والإقدامُ على كلّ ما كان صواباً.

١٠- والإشفاقُ على الزمان الذي هو العُمر؛ ليُستَعملَ في المهمّ دون غيره.

١١- وتركُ الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي، وتركُ التواني، وتركُ الاكتراث لأقوال أهل الشرّ والحسد لئلّا يشتغلَ بمقاتلتهم، وتركُ الانفعال لهم.

١٢- وحُسنُ احتمال الغِنى والفقر والكرامة والهوان بجهةٍ وجهة.

١٣- وذكرُ المرضِ وقتَ الصحّة، والهَمِّ وقتَ السرور.

١٤- والرضا عند الغضب ليقلّ الطَّغيُ والبَغي.

١٥- وقوّةُ الأمل وحُسن الرجاء والثّقة بالله عزّ وجلّ، وصرفُ جميع البال إليه.

دَواؤك فيكَ وما تَشعُر

وصيّة العلامة كرباسجيان لتلميذه

الشيخ علي أصغر كرباسجيان رحمه الله

العلّامة الشيخ علي أصغر كرباسجيان رحمه الله (ت: ١٤٢٤ للهجرة) من الخطباء والمبلّغين المعروفين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. تلقّى علومه الدينية في مدرستَي «الصّدر» و«مَروي» في طهران، ثمّ حضر دروس المرجع الديني الراحل آية الله السيد البروجردي، والعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، وجمعتْ بينه وبين الشهيد الشيخ مرتضى مطهّري صداقة متينة.

عمل منذ ما قبل انتصار الثورة الإسلامية على تربية جيلٍ مؤمن من الشباب، فأسّس لهذه الغاية مجموعة من المدارس والثانويّات تجمع بين تعليم المناهج الحديثة وتدريس الأخلاق والمعارف الإسلامية، في طليعتها «مدرسة علوي»؛ وهي التي اتّخذها الإمام الخميني - لفترة وجيزة - مقرّاً لإقامته بعد عودته إلى إيران سنة ١٩٧٩م.

هذه الوصيّة مقتطفة بتصّرف من كتاب (رسائل الأستاذ) الذي يتضمّن رسائل الشيخ كرباسجيان وتوجيهاته الأخلاقية لبعض تلامذته.

من المواعظ المنظومة هذا البيت المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

دَواؤكَ فيكَ ومَا تَشْعُر ... ودَاؤكَ منكَ ومَا تَنْظُر

إذا تلطّف بنا الله تعالى، وأدركنا معنى هذا البيت من الشعر، سيكون ذلك أوّل خطوة لنا نحو حلّ جميع مشاكلنا؛ لأنّنا إنْ عملنا بما نعلم سيُنار لنا الطريق كلّما خطونا خطوة، ومن ثمّ نُقدِم على الخطوات التالية. روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَا يَعْلَم**».

وفي المقابل، إنْ علِمنا ولم نعمل؛ نكون مثل من بيده المصباح إلّا أنّه ساكنٌ في مكانه لا يخطو، وحينها لن نستطيع الوصل إلى المقصد أبداً.

لا فائدة في طريق السلوك إلى الله سبحانه من الإجمال في القول، إذ إنّك لن تحقّق شيئاً إن بقيتَ عشرات السنين تقول أريد الحصول على إجازة جامعيّة، بل ينبغي أن تدرس بجدّ لسنوات. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على المعنويات.

إنّ برنامج العمل الذي سأُعطيك إيّاه الآن، تظهر آثاره بعد شهرٍ واحدٍ من المداومة عليه؛ وهو النوم أوّل الليل... ولكي توفّق لهذا الأمر عليك أن تخفّف من وجبة طعام الغداء... وإذا لم تستطع النوم بسبب مخالفتك لما اعتدتَ عليه، فعليك أن تستلقي في فراشك حتّى تغفو. وبعد مدّة سوف تتمكّن من التلذّذ بنعمة الاستيقاظ وقت السحر. ولن تستطيع الاستيقاظ وقت السحَر ما لم تَنم أوّل الليل.

ما هي الحكمة؟

نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا..﴾ البقرة:٢٦٩. والحكمة هي رؤية الواقع كما هو، أو فقل: التفكير بواقعية.

ليست الحكمة في قراءة (الأسفار)، أو (شرح الإشارات)، أو تعلّم مصطلحات فلسفية. نحن نرى بأنّ الكثير من الأشخاص قد درسوا هذه الأمور، ويُدرّسونها أيضاً، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى هذا الخير الكثير. أي أنّهم يُتقنون علم «تَنشئة الأُسْرَة»، وقد ألّفوا كُتباً في هذا المجال، إلّا أنّهم لم يُفلحوا في تربية أولادهم وزوجاتهم؛ بل هم مَبغوضون في نظرهم، ويَحيون معهم حياةً جهنّمية.

في المقابل، نرى رجلاً أمّياً؛ لكنّه ظفرَ بالحكمة، أي لديه علم رعاية وتنشئة الأُسْرة، وقد ربّى أفراداً أفادوا المجتمع والناس، وكانوا مفخرةً له. لذا على الإنسان أن يرى بواقعية، وأن يجعل من العقل والمنطق مصدراً لجميع أفعاله.

يُوصي لقمان الحكيم ولده قائلاً: «**لا تجعل ليلك نهاراً ونهارَك ليلاً**»، إنّ هذا القول حكمة ويجب أن يُطبَّق، فهو يشير إلى النوم أوّل الليل والاستيقاظ أوّل السحَر.

ثمّ إنّ الآية الكريمة لا تعدّ الخير الكثير في أيٍّ من السيارة أو المال أو السكن أو أمثالها، إنّما تعدّه في الحكمة. والحكمة هي الرؤية بواقعية، والإنسان الواقعي هو الذي يتّخذ الحقّ معياراً، لا الأشخاص.

العناقُ القاتل

أوجهُ الشَّبَه بين الكَيانين الصهيوني والوهّابي

إعداد: «شعائر»

«على السطح، يُمكن أن تظهر العربيّة السعودية كعدوٍّ لـ(إسرائيل)، وبالفعل ليس بينهما علاقات دبلوماسيّة حتّى الآن... ولكن تحت السطح، هذان (الخصمان القديمان) لديهما في الواقع الكثير من القواسم المشتركة، وأصبحا الشريكَين الأكثر غرابة».
هذا ما ورد في مقدّمة مقال الناشطة الأميركية ميديا بنجامين الذي خصّصته للحديث عن أوجه الشبه بين الكيان الصهيوني والمملكة السعودية، نورده مختصراً نقلاً عن العدد السادس من مجلّة (رأي آخر).

الأمير السعودي تركي الفيصل مع يعقوب عميدرور المستشار الأمني لنتنياهو

في السنوات القليلة الماضية، شاع أنّ البلدَين عقدا - وما زالا يعقدان - اجتماعات سرّيّة ويتبادلان المعلومات الاستخباريّة. في عام ٢٠١٥م، أكّد مسؤولون سعوديّون و«إسرائيليون» سابقون أنّهم عقدوا سلسلة من اجتماعات رفيعة المستوى لمناقشة الاهتمامات المشتركة، مثل تزايد نفوذ إيران في العراق وسوريا واليمن ولبنان، فضلاً عن برنامج إيران النووي. وقال شمعون شابيرا، وهو الممثل «الإسرائيلي» الذي شارك في لقاءات سريّة مع السعوديّين: «لقد اكتشفنا أنّ لدينا المشاكل والتحدّيات نفسها، وبعضاً من الحلول المشتركة».

وفي ٥ أيّار ٢٠١٦، وفي حفل استضافَته «إيباك AIPAC» الجناح السياسي للوبي «الإسرائيلي»، تحدّث الأمير تركي بن فيصل، الرئيس السابق للاستخبارات وسفير السعودية لمرّة واحدة في واشنطن، واللواء «الإسرائيلي» المتقاعد ومستشار الأمن القومي السابق لرئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو، يعقوب عميدرور في واشنطن العاصمة. بثّ معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى الحدث مباشرةً على الشبكة الإلكترونيّة، ما يعني خروج العلاقة أخيراً إلى العلن.

كلا البلدين يرى في إيران تهديداً وجوديّاً، ويدعمان الجماعات التكفيرية في سوريا، وهما أكثر اهتماماً بالإطاحة بالأسد من اهتمامهما بهزيمة «داعش»

الصّفات المشتركة

وهنا بعض الصفات المشتركة بين المملكة العربية السعوديّة و«إسرائيل»:

١) كِلا البلدّين يقمع الأقليّات التي تعيش على حدودهما. «إسرائيل» تضطهد الفلسطينيّين، وتبني المستوطنات على أرضهم، وتُحيط قراهم بجدران الفصل العنصري والجنود المدجّجين بالسلاح. والمملكة العربية السعوديّة تتبع نظاماً سياسيّاً وقضائيّاً يضطهد (الأقليّات) مثل الشيعة، وغيرهم. كما أنّه يضطهد النساء والملايين من العمّال المهاجرين. كِلا البلدَين يردّ على المعارضين السياسيّين بوسائل مماثلة، وذلك باستخدام القوّة المفرطة، والاعتقال التعسّفي، والترهيب والتعذيب وإلى أجلٍ غير مسمّى، ثمّ يفلت من العقاب.

٢) «إسرائيل» والمملكة العربية السعوديّة قامتا بغزو الأراضي المجاورة، ما أسفر عن مقتل الآلاف من المدنيّين. وتقوم «إسرائيل» بغزو وقصف غزّة منذ العام ٢٠٠٨م وما زالت؛ في عام ٢٠١٤ فقط، قتل الجيش «الإسرائيلي» أكثر من ألفَي شخص معظمهم من المدنيّين، ودمّر ١٧٢٠٠ منزلاً، وترك ٤٧٥ ألف فلسطيني يعيشون في ظروف مأزومة.

وقد تدخّل السعوديون في الشؤون الداخلية لليمن المجاورة. في شهر آذار من عام ٢٠١٥، أطلقوا حملة قصفٍ مرعبة استهدفت الأسواق والمدارس والمستشفيات والمساكن وحفلات الزفاف، ما

أسفر عن مقتل أكثر من ستّة آلاف يمني، معظمهم من المدنيّين، وتشريد أكثر من 2.5 مليون شخص. وكلتاهما تستعملان أسلحة تمّ حظرها دولياً: استخدمت «إسرائيل» الفوسفور الأبيض في غزّة؛ واستخدم السعوديّون القنابل العنقودية في اليمن.

٣) يلعب (التعصّب الديني) دوراً رئيسيّاً في الحياة السياسيّة لِكلا البلدَين. وتعتبر «إسرائيل» وطناً للشعب اليهودي، وقوانين «إسرائيل» الأساسيّة التي تأخذ مكان الدستور تعرّف البلد على أنّه دولة يهودية. اليهود يحصلون على معاملة تفضيلية، مثل حقّ اليهود أن يهاجروا من أيّ مكان إلى «إسرائيل» ويصبحوا تلقائيّاً مواطنين، في حين يواجه المسلمون التمييز اليومي ويعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية. وفي المملكة العربية السعوديّة، يتمّ التعامل مع غير المسلمين [في العُرف السعودي غير المسلم هو غير الوهّابي] كمواطنين من الدرجة الثانية.

٤) كِلا البلدَين يصدّر «منتجات» تروّج للعنف. «إسرائيل» مصدِّر كبير للأسلحة وتدرِّب الشرطة في بلدان أخرى (بما في ذلك الولايات المتّحدة) حول التقنيّات القمعيّة. السعوديّون بدورهم يصدّرون الفكر المتطرّف الذي يُدعى «الوهّابيّة»، إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. والوهّابية هي الأساس الإيديولوجي لتنظيم القاعدة و«داعش».

٥) **إذا كان عدوّ عدوّي صديقي، عندئذٍ تكون كراهية إيران هي التي تجمع بين هذين الخصمَين. كلاهما يرى في إيران تهديداً وجوديّاً ويخشى تزايد النفوذ الإيراني في المنطقة.** كلاهما عارض الاتفاق النووي الإيراني الذي مثّل فوزاً عظيماً للدبلوماسيّة على الحرب، ويسعى البلدان لمنع الولايات المتّحدة من التقارب مع إيران.

٦) كِلا البلدين دعم الانقلاب العسكري في مصر بقيادة عبد الفتاح السيسي الذي أطاح بحكومة منتخبة ديموقراطيّاً، وأدّت إلى موجة من القمع الوحشي زجّت أربعين ألفاً من المعارضين في السجن. وتدخّل السعوديّون بمليارات الدولارات لملء خزائن نظام السيسي، وتعاونت مصر مع «إسرائيل» في الحصار «الإسرائيلي» المتواصل لقطاع غزّة.

٧) **«إسرائيل» والمملكة العربية السعوديّة تدعمان الجماعات المتطرّفة في سوريا، مثل «جبهة النُّصرة» التي تتبع «تنظيم القاعدة»، وكلتاهما أكثر اهتماماً بالإطاحة بالأسد (المتحالف مع إيران) من اهتمامهما بهزيمة «داعش».** لقد أرسل السعوديّون الأسلحة والأموال إلى «النصرة»؛ و«إسرائيل» تعالج الجرحى من مقاتلي «النصرة» في مستشفيات «إسرائيليّة» ومن ثمّ تعيدهم لمحاربة الجيش السوري. كما قتلت «إسرائيل» المستشارين اللبنانيين والإيرانيين الذين كانوا يساعدون حكومة الأسد في القتال ضدّ «تنظيم النصرة».

٨) في كِلا البلدين تجد الآلاف من السجناء السياسيّين، بما في ذلك القُصَّر. في فبراير ٢٠١٦ كان لدى «إسرائيل» ٦٢٠٤ فلسطينياً في السجن، ٤٣٨ منهم قاصرون. وسُجن العديد من القاصرين بتهمة إلقاء الحجارة على الجنود «الإسرائيليّين». وقطع السعوديّون رؤوس القصَّر، ولديهم حاليّاً ثلاثة سجناء من الأحداث يواجهون الحكم بالإعدام، كانوا قد اعتُقلوا بسبب احتجاجات سلميّة.

٩) **كلاهما يصرف عدّة ملايين من الدولارات للتأثير في سياسة الولايات المتّحدة. الحكومة «الإسرائيلية» مع اللوبي الأميركي «AIPAC» (لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية)، وهي جماعة الضغط الأكثر نفوذاً على السياسة الخارجيّة في الولايات المتّحدة. وأنشأ السعوديّون جماعة ضغط خاصّة بهم تسمّى «SAPRAC» (لجنة شؤون العلاقات العامّة الأميركية السعودية).** لسنوات كان السعوديون ولا يزالون يشترون النفوذ عن طريق التعاقد مع شركات العلاقات العامّة المؤثّرة، مثل مجموعة «بوديستا» «Podesta»، والتبرّع لمؤسسة كلينتون، ومؤسسة كارتر، وعشرات من مراكز البحوث والجامعات.

١٠) كِلا البلدين حليف قديم للولايات المتحدة. وقد دعمت الإدارات الأميركية «إسرائيل» منذ تأسيسها في العام 1948م، ودعمت أيضاً مجموعة من الملوك السعوديّين منذ تأسيس هذه الدولة في العام 1932م. وقد ساعدت الولايات المتّحدة في ضمان أمن البلدَين. دافِعو الضرائب الأميركيّون يعطون أكثر من ٣ مليارات دولار سنوياً لدعم الجيش «الإسرائيلي». والجيش الأميركي يحرس الخليج للملوك السعوديين، والمملكة العربية السعوديّة هي المشتري رقم واحد للأسلحة الأميركية.

ويقول البعض إنّه لأمرٌ جيّد لـ«إسرائيل» والمملكة العربية السعوديّة أن تدفنا الأحقاد وتجدا أرضيّة مشتركة. لكنّ السلام في الشرق الأوسط لن يعزّز بالتعاون بين «إسرائيل» والسعوديّة. على «إسرائيل» أن تصنع السلام مع الفلسطينيّن. وعلى المملكة العربية السعودية أن تتصالح مع إيران. وإلّا فإنّ التواطؤ السعودي - «الإسرائيلي» لن يكون سوى عناقٍ قاتلٍ يؤدّي إلى مزيد من الحسرة في المنطقة.

طالب الولايات المتحدة بضرب مصر وسوريا واحتلال الضفّة والقطاع

رسالة الملك فيصل آل سعود إلى الرئيس الأميركي جونسون

إعداد: «شعائر»

في الأيام الأخيرة من العام ١٩٦٦م، وقبل أشهر من احتلال «الجيش الإسرائيلي» الضفة الغربية وقطاع غزّة بعث الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز رسالة إلى الرئيس الأميركي الأسبق ليندون جونسون، يحثّه فيها على دعم الكيان الصهيوني لتنفيذ هجوم خاطف على مصر، وسوريا، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة.

يستهلّ فيصل رسالته (وهي وثيقة مؤرّخة في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦ الموافق ١٥ رمضان ١٣٨٦، رقم ٣٤٢ من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودي) بالحديث عن مخاطر تواجد قوّات «الجمهورية العربية المتحدة» (مصر وسوريا) في اليمن المجاورة، على مملكته وعلى المصالح الأميركية في المنطقة، ولدرء «هذا الخطر» يقترح على جونسون ما يلي:

«.. من كلّ ما تقدّم يا فخامة الرئيس، وممّا عرضناه بإيجاز يتبيّن لكم أنّ مصر هي العدوّ الأكبر لنا جميعا، وأنّ هذا العدو إنْ تُرك يُحرّض ويدعم الأعداء عسكريّاً وإعلاميّاً، فلن يأتي عام ١٩٧٠ – كما قال الخبير في إدارتكم السيد كيرميت روزفلت – وعرشُنا ومصالحُنا في الوجود.. لذلك فإنني أبارك، ما سبق للخبراء الأمريكان في مملكتنا، أن اقترحوه، لأتقدّم بالاقتراحات التالية:

– أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولي به على أهمّ الأماكن حيوية في مصر، لتضطرّها بذلك، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدّة طويلة...

– سوريا هي الثانية التي لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع اقتطاع جزء من أراضيها، كيلا تتفرّغ هي الأخرى فتندفع لسدّ الفراغ بعد سقوط مصر.

– لا بدّ أيضاً من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة، كيلا يبقى للفلسطينيين أيّ مجال للتحرّك، وحتّى لا تستغلّهم أية دولة عربية بحجّة تحرير فلسطين...

– نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازاني شمال العراق، بغرض إقامة حكومة كردية... علماً بأننا بدأنا منذ العام الماضي (١٩٦٥م) بإمداد البرازاني بالمال والسلاح من داخل العراق، أو عن طريق تركيا وإيران.

يا فخامة الرئيس.

إنكم ونحن متضامنين جميعاً سنضمن لمصالحنا المشتركة ولمصيرنا المعلّق، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها، دوام البقاء أو عدمه..

أخيراً.

انتهز هذه الفرصة لأجدّد الإعراب لفخامتكم عمّا أرجوه لكم من عزّة، وللولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نموّ وارتباط أوثق وازدهار.

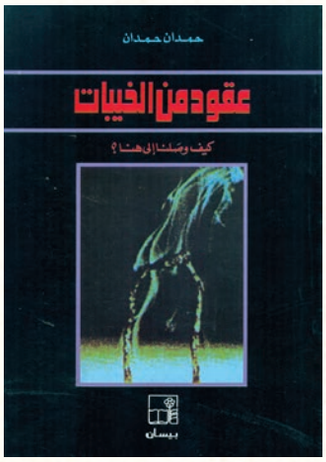

المخلص: فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية»

يُشار إلى أنّ هذه الرسالة منشورة في كتاب (عقود من الخيبات) للباحث السوري حمدان حمدان، الطبعة الأولى ١٩٩٥، عن دار بيسان في بيروت، على الصفحات من (٤٨٩- ٤٩١).

***

ويظهر جليّاً – بمراجعة مجموعة من المعطيات – أن «الملف اليمني» كان يشكّل هاجساً حقيقيّاً لدى فيصل، وكان موضوع عدد كبير من الرسائل بينه وبين الإدارة الأميركية طوال أكثر من عامين.

وبالعودة إلى وثائق «وزارة الخارجية الأميركية» المنشورة على موقعها الإلكتروني، تطالعنا وثيقتان؛ الأولى مذكّرة وجّهها روبرت كومر من «مجلس الأمن القومي» إلى الرئيس جونسون (رقم ٢٤٤، تاريخ: ٢٣ نيسان ١٩٦٥) يحثّه فيها على إرسال رسالة طمأنة إلى الملك فيصل حيال مخاوفه من تواجد قوّات «الجمهورية العربية المتحدة» في اليمن، ويُلفت جونسون إلى ضرورة صيانة استثمارات النفط الأميركية في السعودية، من دون أن تفوته الإشارة إلى أن القلق السعودي مدخل مناسب لتمرير صفقة أسلحة بقيمة مائتي مليوني دولار.

الوثيقة الثانية (رقم ٢٤٥، تاريخ: ٢٤ نيسان ١٩٦٥) وهي متن إحدى الرسائل الموجّهة من جونسون إلى فيصل، يؤكّد فيها أن أمن المملكة السعودية في طليعة اهتمامات الولايات المتحدة، ويعبّر عن تقديره لتبادل الرسائل المتواصل بينهما، ليُطمئنه بأنّ تعبيره الدائم عن مخاوفه لم يقع على أُذُن صمّاء!

دوائر ثقافية

موقف	الزُّهّاد هم الطريق إلى الله	الشيخ محمد قاسم المصري العاملي
فرائد	الصلاة على النبيّ ﷺ بعَشر حسنات	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(كشف الرّيبة عن أحكام الغِيبة) للشهيد الثاني	قراءة: محمود إبراهيم
مصطلحات	الشُّحّ	المحقّق الشيخ حسن المصطفوي
بصائر	الفقر شعارُ الصالحين	الفقيه ابن فهد الحلّي
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية / أجنبية / دوريات	إعداد: ياسر حمادة

موقف

الزُّهّاد هم الطريقُ إلى الله

الشيخ محمّد قاسم المصري العامليّ

سُئلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن فساد العامّة، فقال: «إنّما هيَ مِنْ فَسَادِ الخَاصَّة. وَإنّما الخَاصَّةُ لَيُقْسَمُونَ إلَى خَمْسٍ: العُلَمَاءُ وَهُمُ الأَدِلّاءُ عَلَى اللهِ. وَالزّهّادُ وَهُمُ الطّريقُ إلَى اللهِ. والتُّجّارُ وَهُمْ أُمَنَاءُ اللهِ. وَالغُزاةُ وَهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللهِ. وَالحُكّامُ وَهُمْ رُعَاةُ خَلْقِ اللهِ».

يتناول هذا النصّ المختصر من كتاب (رسالة في التعرُّب بعد الهجرة) للشيخ محمّد قاسم المصريّ العامليّ دورَ الزهد في تقويم الحياة الاجتماعية، وبناء المجتمع الصالح.

رُوي عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «**الزُّهْدُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ... وَإِنَّ الزُّهْدَ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ...﴾**». (الحديد:٢٣)

وهو – أي الزهد – من الصفات العظيمة؛ والمحاسن السامية فهو صفةُ الأنبياء، وسيرةُ الأوصياء، وهو من المَلَكات الرفيعة التي ينبغي للمؤمن التحلّي بها، وفيه سعادةُ الدارَيْن، وإلّا فلا يأمن الشخصُ على نفسه من الانحراف وسوء الخاتمة إذا لم يتحلَّ بالزهد.

وعلى الأقلّ هو خيرُ طريقٍ لراحة الدنيا، وأسرعُ بابٍ للفوز بالدرجات العُلا: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾. (الشعراء:٨٨-٨٩)

والزُّهد الذي يَلزمُ على المؤمن التحلّي به، هو تلك المَلَكة النفسيّة الباعثة على الرغبة فيما عند الله تعالى دون سواه؛ ولأجل ذلك عُدَّ طريقاً إليه سبحانه، وأيّ طريقٍ أسمى ممّا كانت نِسبَتُه إلى الله، حيث قال أمير المؤمنين عليه السّلام عن الزهّاد: «**وَهُمُ الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ**».

إنّ سلوكَ الزاهد، وعيشه وحياته بكلّ معانيها هي مثالٌ يُقتدى به، فإنّ المجتمع كما أنه يحتاج إلى العالم ليرشده، وإلى الحاكم ليرعى شؤونه، وإلى التاجر والصناعيّ لأمور معيشته، وغيرهم، ولكلٍّ منهم عملٌ يتمّم به عمل الآخر ليشكّلوا مجتمعاً متكاملاً، فإنّ المجتمع أيضاً يحتاج إلى الزاهد ليكون مثالاً ونموذجاً في العزوف عن زخارف الدنيا والرغبة في مرضاة الله تعالى، وبالتالي، فإنّ أيّ تاجر أو أيّ فرد من أفراد المجتمع إذا ما وقع في فتنة معيّنة أو ابتُلِيَ في دينه ودنياه، فإنّ له بذلك مثالاً يقتدى به. ثم إنَّ الزاهد في سلوكه وعمله وقوله يُصبح عنواناً للتذكير بالآخرة، ودليلاً إلى طريق النجاة من حبائل دار الفناء.

طلبُ الزاهد.. والهروب منه

وللزاهد أوصافٌ، أهمّها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا**».

وذلك أنّ الزاهد يعيش الخوف من الله؛ فهو في حزنٍ وأسفٍ على ما يُفرّط في جنب الله، وفي حذرٍ دائماً من الانزلاق إلى مهاوي الدنيا، فلا يأنس ما دام لم يصِل إلى برّ الأمان؛ فهو لا يأمن غدر الدنيا في كلّ آن، وينتظر الانتقال عنها في أيّ لحظة.. وهذا ما يجعل حُزنه في اشتداد، حتّى إذا ما أدركَتْه المنيّة تبدّلت أحواله ليعيش الفرحة الدائمة والنعيم الذي لا يزول، وينقضي حزنُه ومَقْتُه بلقاء ربٍّ رحيم، ورضوانٌ من الله أكبر...

وقال عليه السّلام: «**أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ**». وهذه الصفة لا تتنافى مع كون الزاهد طريقاً إلى الله، فإنّ محاولة الزاهد إخفاء زُهده لكيلا يُصاب بالعُجب والغرور، يُعَدُّ من أعلى درجات الزهد، ولذا نجده عليه السّلام يُعطي ضابطة مهمّة لتمييز الزاهد الحقيقيّ عمّن تَلبّس بلباس الزهد، فقال عليه السّلام: «**إِذَا هَرَبَ الزّاهِدُ مِنَ النّاسِ فَاطْلُبْهُ**». وفي حديثٍ آخر قال عليه السّلام: «**إِذَا طَلَبَ الزّاهِدُ النّاسَ فَاهْرُبْ مِنْه**».

فرائد

متاعٌ، وعَرَضٌ، وزِينَةٌ، ولَهوٌ، ولَعِبٌ..

«قوله تعالى: ﴿..وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الحديد:٢٠، وصف – سبحانه وتعالى – الحياةَ الدنيا بهذه الأوصاف [في آياتٍ أُخَر].

فعدّها متاعاً؛ والمتاعُ ما يُقصَدُ لغَيره.

وعدّها عرَضاً؛ والعرَض ما يعترض ثمّ يزول.

وعدّها زينةً؛ والزينة هو الجمال الذي يُضَمُّ على الشيء ليُقصَدُ الشيءُ لأجله، فيقع غير ما قصد ويقصد غير ما وقع.

وعدّها لَهواً؛ واللّهو ما يُلهيك ويُشغلك بنفسه عمّا يهمّك.

وعدّها لَعِباً؛ واللّعب هو الفعلُ الذي يصدر لغايةٍ خياليّة لا حقيقيّة.

وعدّها متاعَ الغرور؛ وهو ما يُغَرُّ به الإنسان».

(العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان)

الصّلاة على رسول الله ﷺ بعشر حسنات

«قال الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ اللهَ كلَّفَ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ، مَا لم يُكلِّفْ بِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ؛ كَلَّفَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَلى النّاسِ كُلِّهِمْ وَحْدَهُ بِنَفْسِه، وإنْ لَمْ يَجِدْ فِئَةً تُقاتِلُ مَعَهُ، وَلَمْ يُكلِّفْ هذا أَحَداً مِن خَلْقِه قَبْلَهُ ولا بَعْدَه.

ثمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ..﴾ (النساء:٨٤)، ثمّ قال:

وجَعَلَ اللهُ لَهُ أنْ يَأْخُذَ ما أخَذَ لِنَفْسِه، فَقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ..﴾ (الأنعام:١٦٠)، وجُعِلَتِ الصَّلاةُ عَلى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ، بِعَشْرِ حَسَناتٍ».

(السيد هاشم البحراني، حلية الأبرار)

معنى «مخلّفٌ فيكم الثّقلين»

«عن الإمام الحسين بن عليّ، سيّد الشهداء، عليه السلام، قال:

سُئِلَ أميرُ المؤمنين عَلَيْهِ السَّلامُ، عن معنى قَوْلِ رَسولِ الله ﷺ:

(إنّي مُخَلِّفٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْن؛ كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي)؛ مَنِ العِتْرَة؟

فقالَ: أنا والحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَالأَئِمَّةُ التِّسْعَةُ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ،

تاسِعُهُمْ مَهْدِيُّهُمْ وَقائِمُهُمْ، لا يُفارِقونَ كِتابَ اللهِ وَلا يُفارِقُهُمْ حَتّى يَرِدوا عَلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ حَوْضَهُ».

(الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام)

إذا قام قائمُهم..

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله:

«.. وَأَخْبَرَني جَبْرَئيلُ عَنِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، أَنَّ ذَلِكَ الظُّلْمَ يَزولُ إذا قامَ قائِمُهُمْ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُمْ، وَاجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلى مَحَبَّتِهِمْ، وَكانَ الشّاني لَهُمْ قَليلاً، وَالكارِهُ لَهُمْ ذَليلاً، وكَثُرَ المادِحُ لَهُمْ، وَذَلِكَ حينَ تَغَيُّرِ البِلادِ، وَضعْفِ العِبادِ، وَاليَأْسِ مِنَ الفرَجِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ القائِمُ فيهِمْ..».

(الموفّق الخوارزمي، المناقب)

(كشفُ الرِّيبة عن أحكام الغِيبة) للشّهيد الثاني

تظهيرُ روح الوحي بمكارم الأخلاق

قراءة: محمود إبراهيم

الكتاب: (كشفُ الرِّيبة عن أحكام الغِيبة)
المؤلف: الشهيد الثاني، زين الدين عليّ بن أحمد الجُبعيّ العامليّ (٩١١-٩٦٦ للهجرة)
الناشر: «دار الأضواء»، بيروت ١٩٨٧م

غالباً ما يُؤثِر المشتغلون في البحث العلميّ تصنيفَ ما يقع بين أيديهم من كُتب ومؤلّفات ومصنّفات علميّة؛ فإنّهم في العادة يلجأون إلى تصنيف هذا الكتاب أو ذاك تِبعاً لاختصاصه، ووضْعه إمّا في خانة الفلسفة، أو المنطق، أو في ميدان علم الجمال والأدب، أو في التاريخ والفكر السياسيّ، وهكذا دواليك. إلّا أنّهم حين يواجهون أعمالاً أو منجزاتٍ معرفيّة، كالتي قدّمها العلّامة الكبير الشيخ زين الدين الجُبَعيّ العامليّ (الشهيد الثاني)، فقد يصعب عليهم الأمر، أو أنّهم يحارون في تصنيف هذه المنجزات. والسبب في هذا يعود إلى تميّز علّامتنا في أنّه جمع بين الأصناف والمناهج في خلال تناوله معارفَ تأسيسيّة متّصلة بأصول الدين وفروعه. وفي مصنّفه الشهير (كشفُ الرّيبة عن أحكام الغِيبة) سيكون لنا الدليل المبين على منهجيّته الجمعيّة هذه. حيث يظهر النصّ ثمرة تكاملٍ بين علوم الشريعة ومقاصدها، وبين ما يتفرّع عنها من علوم الحديث، والكلام، والفلسفة، والفقه، وعلم الأخلاق، والعرفان.

حين يطرق الشهيد الثاني باباً ذا صِلة بمكارم الأخلاق كموضوع هذا الكتاب، يكون القرآن الكريم والسيرة المعصومة معيار الحكم في المبتدأ والخاتمة. فلئن كانت الغِيبة (كسر الغين) من الكبائر التي حذّر الله تعالى الناس ونهاهم عن اقترافها، فلأنّها الباعث على الفساد في الأرض، والانزياح عن مكارم الأخلاق. وفي التعريف المشهور: «إنّ الغِيبة هي ذكر الإنسان حالَ غَيبته بما يكره نسبتَه إليه، ممّا يعدّ نقصاناً في العُرف، بقصد الانتقاص والذمّ».

وتحريمُ الغِيبة في الجملة إجماعيّ. بل هو كبيرةٌ وموبقةٌ للتصريح بالتوعُّد عليها في الكتاب والسنّة. وقد نصّ الله تعالى على ذمّها في كتابه العزيز، وشبّه صاحبها بآكل لحم أخيه ميتاً، فقال: ﴿..وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ..﴾ الحجرات:١٢. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُه ومَالُه وعِرْضُه**». والغِيبة تناولُ العرض، وقد جمع صلّى الله عليه وآله بينه وبين الدّم والمال، وقال: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا ولا يَغْتَبْ بَعضُكُم بعضاً، وكونوا عِبادَ اللهِ إخواناً**».

تظهير المقاصد الإلهيّة

ورد في تعريف هذا المصنّف في كتاب (الذريعة: ١٨/٣٦، ق:٥٦٢) للشيخ الطهرانيّ، أنّه عملٌ جامع في تعريف الغِيبة وذكر أقسامها، وأحكامها، والأحاديث الدالّة على تحريمها. وهو كتابٌ نفيس. ففي خاتمته نقرأ اثني عشر حديثاً مناسباً للمرام، والحديث العاشر منها رسالة أبي عبد الله الصادق عليه السلام، إلى عبد الله النجاشيّ، المعروفة بـ «الرسالة الأهوازيّة». وقد فرغ المؤلّف منه سنة (٩٤٩ للهجرة)، ونسخة منه بخطّ تلميذ الشهيد الشيخ سلمان بن محمّد بن محمّد الجبعيّ، كتبها في جمادى الثانية ٩٤٥ للهجرة، بعد أربعة أشهر من التأليف، موجود عند ورثة الآخوند المولى محمّد حسين القمشهيّ الكبير، وتاريخ إجازة الشهيد على ظهرها له: ذي القعدة عام ٩٥٤ للهجرة.

ومهما يكن من أمر التعليقات التي تناولت (كشف الريبة عن أحكام الغيبة)، يبقى معنى النصّ ومقاصد العلّامة الشهيد من ورائه. وبهذا فالكتاب هو بكلماتٍ قصار تظهير لواحدة من

مكارم الأخلاق المحمّديّة والسنّة المعصومة، في عالم التربية، وآداب السير والسلوك، وبيان السبيل إلى صراط الحق.

نحن إذاً، بإزاء منهجٍ إيمانيّ خاصّ مستلهَمٍ من الوحي وبيانات أهل العصمة عليهم السلام. قوامُ هذا المنهج ربطٌ لا انفصام له بين شريعةٍ مؤيَّدةٍ بالحقيقة، وحقيقةٍ مؤيَّدة بالشريعة. فلا يُمكن الوقوف على أسرار الحقيقة - كما يقول الشهيد الثاني - إلّا بإثبات الأعمال المبيَّنة ببيان صاحب الشرع تعالى، لأنّ كل منهج وطريقة يخالفان الشريعة سوف يُفضيان إلى الانزياح عن الصراط، وإنّ كل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسُّنّة تُفضي إلى الإلحاد.

وشأنه في هذا، شأن كبار الفقهاء العرفاء الذين لا يجدون أيّ فصل أو تباين بين الشريعة والحقيقة. فهو ممّن يرون أنّ كل شريعة هي حقيقة من كلّ وجه، وكلّ حقيقة شريعة، مع ملاحظة التمييز بين كليهما. فالشريعة نزلت بواسطة الرُّسُل، وأمّا الحقيقة فهي تقريبٌ من غير واسطة. وربما يُشار بالشريعة إلى الواجبات بالأمر والزَّجْر، وبالحقيقة إلى المكاشفات بالسرّ، وإلى أنّ الشريعة هي وجود الأفعال، والحقيقة شهود الأحوال بها. وبحسب العرفاء، فإنّ حاصل السّير إلى الحقّ الأول يتحقّق عبر لزوم حدوده، أي أحكام الشريعة. وطبقاً لإجماع أهل التوحيد، فإنّ مَن زعم الوقوف على أسرار الحقيقة بما يخالف الشريعة، فقد طغى وغلبتْ عليه الضلالة والنسيان.

أخلاقيّة القول والعمل

في أعمال الشهيد الثاني، الممتدّة سحابة خمسة وخمسين مؤلَّفاً، تظهيرٌ بيِّنٌ للقِسط والتّناسُب والاعتدال؛ فلقد حرص - مثل جمعٍ كبير من أهل الذِّكر - على أن يستعيذ بالله من فتنة القول، كما يستعيذُه من فتنة العمل. وهذا هو الشيء الذي أتاح له تحصيل رؤية تَقَويّة إيمانيّة، بلغت ذروة إخلاصها بواحديّة العالم العارف في تجربته الدينيّة.

لقد تشكَّل المنجز العلميّ/ العرفانيّ للشهيد الثاني، على منبسَطٍ معرفيّ يغتذي ممّا سبقه من منجزاتٍ زخر بها الفكر الإسلاميّ منذ تدوين السنّة، والحديث، وظهور علوم الكلام والأصول والفقه والرجال، إلى التفسير والبلاغة، ناهيك عن علوم التصوّف، والأخلاق، والفلسفة.

لم يقطع الشهيد الثاني مع أيٍّ من الفروع العلميّة المشار إليها، بل هو مضى في رحلته العلميّة إلى استيعابها، والأخذ منها ما وافق الشريعة وحقائقها. وسيتبيّن لنا تبعاً لذلك أنه اختبر هذه المنجزات، من خلال الوصل الوطيد فيما بينها، وعلى مبدأ وحدة العلم بالعمل. وهو مبدأ يدخل في دائرة البديهيّات، لكون العلم عين العمل، والعمل عين العلم في مقام التخلّق الذي تفترضه التجربة الدينيّة. فالعلم - على ما يعرّفه الشهيد الثاني في كتابه الأخلاقيّ المشهور (مُنية المريد في أدب المفيد والمستفيد) - هو «بمنزلة الشجرة، والعمل بمنزلة الثّمرة. والغرض من الشجرة المثمرة ليس إلّا ثمرتُها. أما شجرتها من دون الاستعمال، فلا يتعلّق بها غرَضٌ أصلاً، فإنّ الانتفاع بها في أيّ وجهٍ كان، ضربٌ من الثمرة بهذا المعنى».

كتاب (كشفُ الرّيبة عن أحكام الغِيبة) تظهيرٌ لواحدةٍ من مكارم الأخلاق المحمّديّة والسنّة المعصومة، في عالَم التربية، وآداب السّير والسلوك

إن ما يُستخلص من توصيفٍ كهذا، يُمكن أن نضعه في سياقٍ تأسيسيّ لنظريّة معرفةٍ دينيّة قوامها: أنّ العلم المعتبَر، هو العلم الباعث على العمل.

ما ذهب إليه الشهيد الثاني يُفصح عن أنّ صِلة الوصل بين العلم والعمل واقعة ضمن منفسحات الحقيقة الدينيّة، حيث يشير إلى ذلك بوضوح حين يرى أنّ الغرض الذاتيّ من العلم مطلقاً هو العمل، وأنّ العلوم كلّها ترجع - بحسب هذا التأصيل – إلى صنفين: علم معاملة، وعلم معرفة.

- فعلم المعاملة عنده، هو معرفة الحلال والحرام ونظائرهما من الأحكام، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة وكيفيّة علاجها والفرار منها.

- وأمّا علم المعرفة فيقوم على العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه.

وما عداهما من العلوم، فإنّه إمّا آلاتٌ لهذه العلوم، أو ما يُراد به عملٌ من الأعمال في الجملة. والواضح أنّ علوم المعاملة لا تُراد إلّا للعمل، بل لولا الحاجة إلى العمل لم يكن لها أيّ قيمة.

وسنرى كيف أنه مثّل هذه الرؤية بمَثَلٍ جاء به من عالم الفقه، وذلك للاستدلال بواسطته على واحديّة النظر والعمل. فالفقيه – بنظره - إذا أحكمَ علمَ الطّاعات، أي أدركه بالنظر العقليّ، ولم يعمل به، وإذا أحكم علم المعاصي ولم يتجنّبها، وإن أحكم علم الأخلاق المذمومة، وما زكّى نفسه منها، أو أحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتّصف بها، فحاصلُه أنّ ذاك الفقيه، مغرورٌ في نفسه، مخدوعٌ عن دينه، ولهذه الناحية بالذات قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس:٩، ولم يقل: قد أفلح من تعلم كيفيّة تزكيتها، وكتب عِلمها، وعلّمها الناس. إذ لو عرف اللهَ حقَّ معرفته لَخَشِيَه واتّقاه، وذلك ما نبّه عليه الحقّ تعالى بقوله: ﴿..إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ..﴾ فاطر:٢٨.

التأسيس الأخلاقيّ لحضارة الإسلام

ما من جدال في المنزلة التي تبوّأتها هذه الشخصيّة الاستثنائيّة في التاريخ الإسلاميّ، وعلى الخصوص في مدرسة أهل البيت عليهم السلام. ولعل الخاصّية في ما أنجزه الشهيد الثاني، أنّه لم يقتصر على إلقاء الدروس الحوزويّة المعروفة في زمانه، ولا بتقريراته المدوّنة في كُتبه ورسائله وسائر مؤلّفاته، ولا بآرائه الفقهيّة التي سجّلها شرحاً أو تأليفاً في مصنّفاته، ولا هي أيضاً بعدد تأليفاته وكثرة تدويناته في العلوم الإسلاميّة فحسب، بل هي – علاوة على كلّ ذلك – تركّز على إعادة تأسيس الحضارة الإسلاميّة وفقاً لمكارم الأخلاق. ولنا أن نشير هنا إلى ما تناوله الباحثون في هذا الصدد:

أولاً: تأسيس مرجعيّة إسلاميّة عامّة، حيث حَظِيَت شخصيّته باحترام علماء سائر المذاهب، من خلال حضوره لدى عددٍ كبير من علماء أرباب المذاهب الإسلاميّة المختلفة، ومناقشاته الجادة معهم.

ثانياً: إبراز الفقه الإماميّ بصورته الناصعة، وتقديمه كفقهٍ قائمٍ بذاته، له مستنداته وأصوله وقواعده، ويمتلك قواماً وذائقةً خاصّة تختلف عن سائر المذاهب، ما يُمهّد له مكانته الحقيقيّة والواقعيّة التي طالما سعى مخالفوه – منذ صدر الإسلام - إلى قمعه واستئصال شَأْفَتِه، وإطفاء نوره الذي أبى اللهُ تعالى إلّا أن يبقى ويخلد حتّى قيام الساعة.

ثالثاً: التأثير في مسير الفكر الإسلاميّ، وتطوير حركته بما يتناسب والمرحلة الحضاريّة التي تمرّ بها البشريّة، من خلال تأسيس قواعد فقهيّة يُمكن أن تسند حركة الفقه الإسلاميّ وتُعينه على أداء دوره في فترة ما بعد عصر النصّ، ومواكبته للحوادث الجديدة الواقعة.

رابعاً: تأسيس نُخبة واعية، وطليعة علميّة متميّزة ومعطاءة، تخدم الدين والمذهب الحقّ بإخلاصٍ وتَفانٍ، وصدقٍ وشجاعة، تداوم على الطريقة، وتحافظ على المسيرة لئلّا تصاب بالتعطيل والانكسار.

لقد تميّزت هذه الشخصيّة الفذّة بالاجتهاد والإبداع، والنشاط الدَّؤوب في المعارف الإسلاميّة وتفعيل حركة الفقه الشيعيّ، وبعثِه على التفاعل والتلاقح في ضوء معطيات تلك الفترة الزمنيّة. وهذا ما جعل حضور الشهيد الثاني ممتدّاً عبر التاريخ في مجال تحديد أحكام الشريعة، وممارسة العمليّة الاجتهاديّة بصدقٍ وعمق، إضافةً الى ما لها من دور في نشر روح البحث العلميّ التي تفرض الموضوعيّة والتجرّد عن الهوى، وتصويب الرأي الراجح على المرجوح وفق الأدلّة الشرعيّة المعتبَرة.

الشُّحّ

المحقّق الشيخ حسن المصطفوي*

* في (مصباح اللغة) للفيومي: «الشُّحّ: البخل، وَشَحَّ يَشُحُّ من باب قتل (أي على وزن قَتَلَ يقتُلُ)، وفي لغةٍ من بابَي ضَرَبَ وَتَعِبَ. فهو شحيح، وقومٌ أشحّاء وأشحّة، وتشاحّ القوم: إذا شحّ بعضُهم على بعض».

* وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «شحّ: الأصلُ فيه المنع، ثمّ يكون منعاً مع حرص. من ذلك الشحّ وهو البخل مع حرص. ويقال تشاحّ الرجلان على الأمر، إذا أراد كلّ واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه. والزّند الشّحاح: الَّذي لا يُوري. ويقولون للمواظب على الشيء شَحْشَحَ، ولا يكون مواظبته عليه إلَّا شُحّاً به. ويقولون للغيور شَحْشَح، وهو ذاك القياس، لأنّه إذا غار منع».

* وفي (الفروق اللّغوية) لأبي هلال العسكري: «الفرقُ بين الشحّ والبخل: أنّ الشُّحَّ الحرصُ على منع الخير... والبخل منعُ الحقّ، فلا يُقال لمن يؤدّي حقوق الله تعالى، بخيل».

* وفي (لسان العرب) لابن منظور: «الشُّحُّ والشَّحُّ: البُخل، والضمّ أعلى. وقيل هو البُخل مع الحرص، وهو أبلغ في المنع من البُخل. وقيل البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشحّ عامّ. وقيل البخل بالمال، والشحّ بالمال والمعروف. وشحَّ بالشيء وعليه يشحُّ. والشَّحْشَحُ والشَّحْشاحُ: المُمْسِكُ البخيل».

التحقيق

الأصل الواحد في هذه المادّة هو البخل الشديد الراسخ في القلب، ومن لوازم هذا المعنى كونه أبلغ، وأن يكون مع الحرص.

* قال تعالى: ﴿..وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر:٩. أي الَّذي يُصان عن الشحّ المكنون في نفسه هو المُفلح. وهذه الصفة إذا رسختْ وثبتتْ في القلب وغلبتْ على القوى تمنعُ النفس عن مطلق عمل الخير قولاً وفعلاً، بل تمنعُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وتربية الناس وهدايتهم وإرشادهم، والإنفاق والإحسان والإعانة بأيّ صورة يمكنه، والخدمة لهم.

* وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ ..﴾ النساء:١٢٨. أي: وقُوربت الأنفس بالشحّ ومُوزجت به، فيصعبُ عليها الإحسان والعمل بالمعروف والصلاح والخير أزيد ممّا هي عليه. فدفعُ الشُّحّ والعمل بالخير والصلاح هو طريقُ الفلاح.

* وقال سبحانه: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ..﴾ الأحزاب:١٩.

فالشحّ: حالة طبيعيّة وصفة باطنيّة لهم [أي للمنافقين كما يفيد سياق آيات سورة الأحزاب]، يظهر منهم قبل مجيء الخوف وبعد زواله، وهو نتيجة حبّ النفس وحبّ الحياة الدنيا، فيجمع المال للحياة الدنيا، ولا يطلب في أعماله إلَّا تعظيم نفسه، فيمنع الخير وإجراءه...

وفي الآية إشارة إلى أنّ شُحَّهم في المرتبة الأولى على جماعة المسلمين؛ وفي خصوص قدرتهم وقوّتهم ونفوذهم ووُسعهم، وإنّهم يمنعون هذه البسطة عنهم وهم حريصون عليها، ثمّ إذا جاءهم الخوف يتوجّهون إليهم ويتوسّلون بهم ليدفعوا عنهم الشرّ، ثمّ إذا ارتفع الخوف سَلَقوهم – أي بالغوا في إيذاء المؤمنين بكلامهم – وأظهروا شُحَّهم عليهم، ومنعوا كلَّ خَيْرٍ عنهم.

فالمرتبة الأولى أشدّ وأقوى، وهي مبتدأ الثانية، كما أنّ مبدأ الأولى أيضاً هو حبّ النفس من حيث هو، وهذا هو الشِّرك.

* من كتابه (التحقيق في كلمات القرآن الكريم)

الأمرُ أعجلُ من هذا!

الفقر شعارُ الصالحين

الفقيه ابن فهد الحلّي

من كتاب (عدّة الداعي ونجاح الساعي) للفقيه الشيخ أحمد بن فهد الحلّي قدّس سرّه المتوفّى سنة ٨٤١ للهجرة، هذا المقال حول فوائد الفقر ومساوئ الغِنى ووجوب التخفّف والتحرّز من فضول الدنيا، تأسّياً بالأنبياء والأوصياء في الإعراض عنها وفي دوام استحضار الآخرة.

إيّاك أن تأخذَ بقولِ مَن يقول: «أنا أتنعّم في الدنيا بما أباحه الله تعالى، وأقوم بالواجبات، وإخراج الحقوق؛ فأتنعّم بما أباحه الله من طيّب المآكل اللذيذة، والملابس السنيّة، والمراكب الفاخرة، والدُّور العامرة، والقصور الباهرة، ولا يمنعني ذلك من الاستباق إلى الجنّة مع السابقين»! بل ينبغي أن تعلم أنّ هذه مقالةُ أهل حُمْقٍ وغُرور، وذلك من وجوه:

الأوّل: إنَّ المتوغّل في فضول الدنيا لا ينفكّ عن الحرص المُهْلِك المُوقِع في الشُّبهات، ومَن تورّط في الشُّبهات هلكَ لا محالة.

الثاني: إنْ سَلِمَ من الحرص - وأنّى له بالسلامة عنه - لم يسلَم من الفظاظة وقساوة القلب والتكبّر. كيف لا وهو تعالى يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ (العلق:٦-٧).

وقَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله: «**إِيَّاكُمْ وفُضُولَ الْمَطْعَمِ، فَإِنَّهُ يَسِمُ الْقَلْبَ بِالْقَسْوَةِ**».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، غُدْوَةً، رَغِيفاً مِنْ شَعِيرٍ، وعَشِيَّةً، رَغِيفاً مِنْ شَعِيرٍ، ولَا تَرْزُقْنِي فَوْقَ ذَلِكَ فَأَطْغَى**».

وكما أنّ الخائض في الماء يَجِدُ بَلَلاً لا محالة، كذلك صاحبُ الدنيا يَجِدُ على قلبه رَيناً وقسوةً لا محالة.

الثالث: أن يَخرج من قلبه حلاوةُ العبادة والدعاء، وقد نبّه عليه عيسى عليه السلام فيما عرفت.

الرابع: شدّة الحسرة عند مفارقة الدنيا، والفقير على العكس من ذلك. عن الصادق عليه السلام: «**مَنْ كَثُرَ اشْتِبَاكُهُ بِالدُّنْيَا كَانَ أَشَدَّ حَسْرَةً عِنْدَ فِرَاقِهَا**».

الخامس: كون الفقراء هم السابقون إلى الجنّة، والأغنياءُ في ساحة المحشر للحساب. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا؛ إِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ**».

وتحسّر سلمان الفارسيّ رضوان الله عليه عند موته، فقيل له: على ما تأسُّفك يا أبا عبد الله؟

قال: ليس تأسُّفي على الدنيا، ولكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عَهِدَ إلينا وقال: (**لِتَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُم كَزادِ الرّاكِب**)، وأخافُ أن نكون قد جاوزنا أمره وحولي هذه الأساود. وأشار إلى ما في بيته؛ وإذا هو دَسْتٌ (وسادة) وسيفٌ، وجَفنة (قصعة).

وقال أبو ذرّ رضوان الله عليه: «يَا رَسُولَ اللهِ، الْخَائِفُونَ الْخَاشِعُونَ الْمُتَوَاضِعُونَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً يَسْبِقُونَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ؟

فقال صلّى الله عليه وآله: «**لَا، ولَكِنْ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتُونَ فَيَتَخَطَّوْنَ رِقَابَ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى تُحَاسَبُوا. فَيَقُولُونَ: بِمَ نُحَاسَبُ؟ فَوَاللهِ مَا مَلَكْنَا فَنَجُورَ ونَعْدِلَ، ولَا أُفِيضَ عَلَيْنَا فَنَقْبِضَ ونَبْسُطَ، ولَكِنْ عَبَدْنَا رَبَّنَا حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**».

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام، قال: «**إِنَّ الْفُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ لَيَتَقَلَّبُونَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً**». ثمّ قال عليه السلام: «**سَأَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا؛ إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ سَفِينَتَيْنِ مُرَّ بِهِمَا عَلَى بَاخِسٍ** (الذي يقتطع الضريبة) **فَنَظَرَ فِي إِحْدَاهُمَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً، فَقَالَ أَسْرِبُوهَا**

(أي سيّروها)، **ونَظَرَ فِي الْأُخْرَى فَإِذَا هِيَ مُوقَرَةٌ** (أي مثقلة بالأحمال) **فَقَالَ احْبِسُوهَا**».

السادس: مصادقة إكرام الله الفقير يوم القيامة وتعطّفه عليه.

السابع: إنّ الفقر حُليَةُ الأولياء وشعارُ الصالحين. ففيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «**إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ: مَرْحَباً بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ، وإِذَا رَأَيْتَ الْغِنَى مُقْبِلًا فَقُلْ: ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ**».

ثم انظر في قَصص الأنبياء عليهم السلام وخَصاصتهم وما كانوا فيه من ضِيق العيش:

* فهذا موسى كليمُ الله عليه السلام، كان يُرى خضرةُ البَقل من صِفاقِ بطنه من هُزاله.

* وعيسى روح الله وكلمتُه فإنّه كان يقول: «.. **إِدَامِيَ الْجُوعُ وشِعَارِيَ الْخَوْفُ ولِبَاسِيَ الصُّوفُ.. أَبِيتُ ولَيْسَ لِي شَيْءٌ، وأُصْبِحُ ولَيْسَ لِي شَيْءٌ، ولَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَغْنَى مِنِّي**». وقال للحواريّين: «**ارْضَوْا بِدَنِيِّ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ دِينِكُمْ كَمَا رَضِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدَنِيِّ الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ دُنْيَاهُمْ، وتَحَبَّبُوا إِلَى اللهِ بِالْبُعْدِ مِنْهُمْ، وأَرْضُوا اللهَ فِي سَخَطِهِم..**».

* وأما نوحٌ عليه السلام مع كونه شيخ المرسلين وعمّر في الدنيا مديداً، فقد مضى عنها ولم يبنِ فيها بيتاً، وكان إذا أصبح يقول: «**لا أُمْسِي**»، وإذا أمسى يقول: «**لا أُصْبِحُ**».

* وكذلك نبيّنا محمّدٌ صلّى الله عليه وآله، يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «.. **خَرَجَ مِنَ الدُّنيا وَلَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، وَلَمْ يَأْكُلْ خُبْزَ البُرِّ** [أي القمح] **قَطُّ، وَلَا شَبِعَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ قَطُّ**». ورأى صلّى الله عليه وآله رجلاً من أصحابه يبني بيتاً بجِصٍّ وآجُرّ، فقال له: «**الأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ هَذَا**»!

* وأما إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام فقد كان لباسُه الصّوف وأكلُه الشعير.

* ويحيى بن زكريا عليه السلام كان لباسُه اللّيف، وأكْله ورقُ الشجر.

* وسليمان عليه السلام، فقد كان - مع ما هو فيه من المُلك - يلبسُ الشَّعر، وإذا جنَّه اللّيلُ شدَّ يدَيه إلى عُنقه، فلا يزال قائماً حتّى يُصبح باكياً، وكان قوتُه من سفائف الخَوص يعملها بيده. (أي يصنع السلال من ورق النخيل ويعتاش من بيعها، وروي مثله في أبيه داوود عليهما السلام).

* وأمّا عليٌّ سيّد الوصيّين، وتاجُ العارفين، ووصيّ رسول ربّ العالمين عليه السلام، فحالُه في الزهد والتقشُّف أظهر من أن يُحكى. قال سويد بن غفلة: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بُويع بالخلافة، وهو جالسٌ على حصيرٍ صغيرٍ ليس في البيت غيرُه. فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيتُ المال، ولست أرى في بيتك شيئاً مّما يحتاج إليه البيت. فقال عليه السلام:

«**يَا ابْنَ غَفَلَةَ، إِنّ اللَّبِيبَ لا يَتَأَثَّثُ فِي دَارِ النُّقْلَةِ، ولَنَا دَارٌ قَدْ نَقَلْنَا إِلَيْهَا خَيْرَ مَتَاعِنَا، وإِنَّا عَنْ قَلِيلٍ إِلَيْهَا صَائِرُونَ**».

فليَنظُر العاقلُ بعينٍ صافية وفكرةٍ سليمة، ويتحقّق (أي يتأكّد) أنّه لو يكون في الدنيا - والإكثار منها خير - لم يَفُت هؤلاء الذين هم خاصّةُ الخلق وحُجَجُ الله على سائر الناس، بل تقرّبوا إلى الله بالبُعد عنها؛ حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**مَا يُعْبَدُ اللهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا**». وقال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الدنيا: «**قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا**».

المتوغّلُ في فضول الدنيا لا ينفكُّ عن الحرص المُوقِع في الشُّبهات، ومَن تورّط في الشُّبهات هلكَ لا محالة، وإنْ سَلِمَ من الحرص لم يسلَم من قساوة القلب والتكبّر

حِكَم

إنّ الصمتَ بابٌ من أبواب الحِكمة

من حِكَم الإمام الرضا عليه السّلام

* «لَا يُجْمَعُ المَالُ إلَّا بِخَمْسِ خِصال: بِبُخْلٍ شَدِيدٍ، وَأَمَلٍ طَوِيلٍ، وَحِرْصٍ غَالِبٍ، وَقَطيعَةِ الرَّحِمِ، وإيثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ».

* «ما مِن شيءٍ مِن الفُضولِ إلَّا وهو يَحتاجُ إلى الفُضولِ مِن الكَلامِ».

* «الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَةِ يَعْدِلُ [استتارُه عملَ] سَبْعِينَ حَسَنَةً، والْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ، والْمُسْتَتِرُ بِالسَّيِّئَةِ مَغْفُورٌ لَهُ».

«مِنْ عَلَامَاتِ الْفِقْهِ: الْحِلْمُ والْعِلْمُ والصَّمْتُ. إنَّ الصَّمْتَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْحِكْمَةِ، إنَّ الصَّمْتَ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ، إنَّه دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ».

* «المَرَضُ لِلمُؤْمِنِ تَطْهِيرٌ وَرَحْمَةٌ، ولِلكافِرِ تَعْذِيبٌ ولَعنَةٌ، وإنَّ المَرَضَ لَا يَزالُ بِالمُؤْمِنِ حَتَّى لَا يَكونَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ».

* «السَّخِيُّ يَأْكُلُ طَعَامَ النَّاسِ لِيَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِه، والْبَخِيلُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ النَّاسِ لِئَلَّا يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِه».

لغة

صور

* **الصُّوْر**: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾. قيلَ: «هو جمعُ صُورة، أَي يُنفَخُ في صُوَرِ الموتى الأَرواحَ». وفي (تفسير الميزان) للعلّامة الطباطبائيّ: «النفخُ في الصُّورِ كنايةٌ عن إعلام الجماعة الكثيرين - كالعسكر - بما يجبُ عليهم أن يعملوا به جمعاً كالحضور والارتحال وغير ذلك... وقيل: المراد بهذا النَفْخ، النفخةُ الثانية للصُّور التي بها تُنفخ الحياةُ في الأجساد؛ فيُبعثون لفصل القضاء».

* **الصُّورةُ**: الوجهُ، وتَرِدُ أيضاً في كلام العرب على معنى حقيقةِ الشَّيءِ وهَيْئَتِه، وعلى معنى صِفَتِه؛ يُقال: صورةُ الفعلِ كذا وكذا أَي هيئتُه، وصُورةُ الأَمرِ كذا وكذا أَي صِفَتُه. **والتَّصاوِيرُ**: التَّماثيلُ.

* **المُصَوِّرُ**: من أَسماء الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ..﴾. هو - تبارك وتعالى - الذي صَوَّرَ جميعَ الموجوداتِ ورتَّبها فأَعطى كلَّ شيءٍ منها صورةً خاصّةً وهيئةً مُفردةً يتميّزُ بها؛ على اختلافها وكَثرتها.

* **وتَصَوَّرْتُ الشَّيْءَ**: توهَّمتُ صُورَتَهُ، فَتَصوَّرَ لي.

* **والصَّوَرُ**، بالتحريك: المَيل. ورجلٌ أَصْوَرٌ بيِّنُ الصَّوَرِ أَي مائل. وهو يَصُور عُنُقَهُ إلى الشَّيْءِ: إذا مال نحوه بعُنُقِهِ.

* **وصارَ وجهَهُ يَصُورُ**: أَقْبَل به. وفي التنزيل العزيز: ﴿..فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ..﴾، أَي وَجِّهْهُنَّ..

* **وصَوْرَا النَّهْرِ**: شَطَّاه. **والصَّوْرُ**، بتسكين الواو: النَّخلُ الصِّغارُ. **والصِّوَارُ**: القَطيع من البَقَر. **والصُّوار**: وعاءُ المِسْك. **وصارَةُ الجبلِ**: أَعلاه.

(تاج العروس، ومصادر أخرى)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

كتابُ المعتضد العبّاسي في لَعْن معاوية

قال الطبري في (تاريخه) عند ذكر حوادث سنة (٢٨٤) هجريّة: «... وفي هذه السنة، عزم المُعتضد بالله على لَعْن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاءِ كتابٍ بذلك يُقرَأ على الناس. فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطرابَ العامّة، وأنّه لا يأمنُ أن تكون فتنة، فلم يلتفتْ إلى ذلك من قوله. «..» ونُودي في الجامعَين بأنّ الذمّة بَرِيَّةٌ ممّن اجتمع من الناس على مناظرةٍ أو جَدَل، وأنّ مَن فعل ذلك أحلّ بنفسه الضرب، وتقدّم إلى الشُّرّاب والذين يسقون الماء في الجامعَين ألّا يترحّموا على معاوية ولا يَذكروه بخير.

وتحدّث الناس أنّ الكتاب الذي أمر المُعتضد إنشاءه بلعن معاوية، يُقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر. فلمّا صلّى الناس الجمعة، بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ [ثمّ ذكر الطبري نصّ الكتاب، وفيه مثالب معاوية وأبي سفيان وبني أمية عامّة، وأنّهم الشجرة الملعونة في القرآن، ثمّ قال:]

وذُكر أنّ عبيد الله بن سليمان أحضر يوسفَ بن يعقوب القاضي، وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المُعتضد. فمضى يوسف بن يعقوب فكلّم المعتضد في ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين، إنّي أخاف أن تضطرب العامّة، ويكون منها، عند سماعها هذا الكتاب، حركةٌ.

فقال: إن تحرّكتِ العامّة أو نطقتْ، وضعتُ سَيفي فيها.

فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيّين الذين هم في كلّ ناحية، يخرجون ويميلُ إليهم كثيرٌ من الناس لقرابتهم من الرسول، ومآثرِهم؟ وفي هذا الكتاب إطراؤهم «..» وإذا سمع الناسُ هذا كانوا إليهم أميَل، وكانوا في أبسط ألسنة وأثبتِ حجّة منهم اليوم! فأمسكَ المعتضدُ فلم يردّ عليه جواباً، ولم يأمر في الكتاب بعدَه بشيء..».

(الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٨/ ١٨٢-١٩٠، الأعلمي للمطبوعات، بيروت)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

يَنْبُعُ

يَنْبُع: محافظة من محافظات منطقة المدينة المنوّرة في الحجاز. تقعُ على الضفّة الشرقيّة للبحر الأحمر، وتبعد حوالي ٢٠٠ كلم غرب المدينة المنوّرة، و٣٠٠ كلم شمال مدينة جدّة. مساحتها ١٨٠٥٨ كم^2، وعدد سكّانها حوالى ٥٠٠ ألف نسمة، وتُعدّ ثاني أكبر مدينة على البحر الأحمر بعد مدينة جدّة.

قال الحمويّ في (**معجم البلدان**): «يَنْبُع.. هي عن يمين [جبل] رَضْوَى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر، على ليلةٍ من رضوى من المدينة على سبع مراحل؛ وهي لبَني حسن بن عليّ [عليهما السلام]، وكان يسكنها الأنصار وجُهينة وليث، وفيها عيونٌ عِذاب غزيرة، ووادِيها يَلْيَل، وبها منبر، وهي قريةٌ غنّاء ووادِيها يصبّ في غَيْقَة..».

وقال في موضعٍ آخر: «يَنْبُع حصنٌ به نخيلٌ وماءٌ وزرع، وبها وقوفٌ لعليّ بن أبي طالب، [عليه السلام]، يتولّاها وُلده، وقال ابن دريد: يَنْبُع بين مكّة والمدينة، وقال غيره: يَنْبُع من أرض تهامة غزاها النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلم يلقَ كيداً، وهي قريبةٌ من طريق الحاجّ الشاميّ، أُخذ اسمُها من الفعل المضارع لكثرة ينابيعها».

تقسم «يَنْبُع» حاليّاً إلى ثلاث مدن:

١) **يَنْبُع النّخل**: وهي مدينة قديمة يعود تاريخها لأكثر من ألفي عام. كانت تلقّب بـ«وادي النّعيم».

٢) **ينبع البحر**: هي الجزء الأساسيّ والأهمّ من المحافظة، إذ يقطنها أغلب سكّان ينبع، والنسبة العظمى من سكّانها من قبيلة جُهينة، وكذلك قليلٌ من الأشراف والسّادة، وبعضٌ من العوائل الأخرى. وهي مدينة سياحيّة بالدرجة الأولى.

٣) **ينبع الصّناعيّة**: كانت ميناءً صغيراً حتّى عام ١٩٧٥م، ثمّ صارت مدينة صناعيّة لاستخراج النفط.

مشهدُ الإمام الرّضا عليه السلام
به تَهْبِطُ الأملاكُ بالأَمرِ للأرضِ

■ شعر: الشّيخ علي الجشّي

الشّيخ عليّ بن حسن بن محمّد الجشّي القَطيفي الحجازي، من علماء القطيف وشعرائها، ولد ليلة السّابع عشر من شهر رمضان عام ١٢٩٦ للهجرة/ الثّالث من أيلول ١٨٧٩م. درس المقدّمات من نحو وصرف ومنطق في القطيف، ثمّ غادر إلى النّجف الأشرف ونال مرتبة الاجتهاد عام ١٣٥٥ للهجرة/١٩٣٩م، وقفل راجعاً إلى وطنه بعد رحيل العلاّمة السيّد ماجد العواميّ ليحل محلّهُ عام ١٣٦٧ للهجرة/ ١٩٤٨م. تُوفّي في النصف من جمادى الأُولى عام ١٣٧٦ للهجرة (١٩٥٧م)؛ وقد ترك ثروةً شعريةً قَصَرَها على النبيّ وأهل بيته عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

*** وممّا قاله في الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام**

زُرِ الرِّضـــا مُخْلِصـــاً للهِ في العَمَـــلِ ... تَنَـــلْ مِـــنَ اللهِ فيـــهِ غايَـــةَ الأَمَلِ
وَلَتَنْـــوِ إِنْ زُرْتَـــهُ وَصْـــلَ النَّـــبِيِّ بِها ... فَإِنَّـــهُ بِضْعَـــةٌ مِـــنْ سَـــيِّدِ الرُّسُـــلِ

*** وله أيضاً مخاطباً الرّضا عليه السلام:**

قَصَدْتُكَ يـــا بابَ الرَّجا مَبْـــدَأَ الفَيْضِ ... وَيا مَلِكَ الدَّارَيْنِ في البَسْـــطِ وَالقَبْضِ
طَوَيْـــتُ بِصِـــدْقِ العَـــزْمِ كُلَّ مَفازَةٍ ... مِـــنَ الأَرْضِ لا أَثْني العَزيمَـــةَ بِالنَّقْضِ
أَتَيْتُـــكَ شَـــوْقاً لا لِشَيْءٍ سِـــوَى الوَلا ... وَلَيْسَ غَنـــاءٌ عَنْ عَطائِـــكَ فَلْتَقْضِ
أَتَيْتُـــكَ مِنْ بُعْـــدٍ وَطَـــرْفُ بَصيرَتي ... لَكُـــمْ ناظِـــرٌ لا يُسْـــتَمالُ إِلى الغَضِّ
أَتَيْتُكَ مِـــنْ بُعْدٍ لِأَشْـــهَدَ مَشْـــهَداً ... بِهِ تَهْبِـــطُ الأَمْلاكُ بِالأَمْـــرِ لِلأَرْضِ
فَهـــا أَنـــا ذا عَبْـــدٌ بِبابِـــكَ واقِفٌ ... فَلا تُخْلِني مِنْ نَظْـــرَةِ اللُّطْفِ في العَرْضِ
فَلا فَـــرَّقَ الرَّحْمَـــنُ بَيْـــني وَبَيْنَكُمْ ... بِطَرْفَـــةِ عَيْنٍ مِـــنْ جِوارِكُـــمُ المُرْضي
عَلَيْـــكَ مِنَ اللهِ السَّـــلامُ كَمـــا بَدا ... يَعودُ، كَما دامَـــتْ أَياديـــكَ بِالفَيْضِ

*** وله أيضاً فيه:**

بُـــشْرى لِمَـــنْ زارَ بِطُـــوسِ الرِّضـــا ... بِالأَمْـــنِ في الحَـــشْرِ وَسُـــكْنى الجِنانْ
أَهَـــلْ تَـــرى يَضْمَـــنُ مِثْـــلُ الرِّضا ... أَمْـــراً ولا يُـــوفي بِـــذاكَ الضَّمـــانْ؟!

*** وله في قبّة الإمام الرّضا عليه السّلام:**

وَلَمّـــا بَـــدَتْ بِالسَّـــنا قُبّـــةُ الرِّضا ... وَجَدْتُ شُـــعاعاً في البَصـــيرَةِ قَدْ أَضا
هِيَ القُبَّـــةُ النّورا الّتي حَـــوَتِ الهُدى ... وَكَـــنْزُ عُلـــومِ اللهِ مُذْ حَـــوَتِ الرِّضا

*** وفي تلك القبّة يقول أيضاً:**

قُبَّـــةٌ للرِّضـــا حَـــوَتْ كُلَّ فَضْـــلٍ ... إِنَّمـــا الفَضْـــلُ في الرِّضـــا مَحْصـــورُ
وَاسْـــتَمَدَّتْ مِنْهـــا الكَواكِـــبُ نوراً ... مُـــذْ حَـــوَتْ مَـــنْ لَهُ بَهـــاءٌ ونـــورُ

إصدارات عربية

الكتاب: وديعةُ الله

إعداد: «مركز الرضوان للتأليف والنشر»

الناشر: «مركز الرضوان للتأليف والنشر»، بيروت ٢٠١٦م

يتضمّن هذا الكتاب - (وديعةُ الله) - شذراتٍ من كلام الإمام الخامنئي دام ظلّه حول شخصية الإمام الخميني قدّس سرّه ونهجه.

جاء في مقدّمة الكتاب الصادر عن «مركز الرضوان للتأليف والنشر» بالتعاون مع «منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية» في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: «لفهم حقيقة وشخصية ومبادئ إمامنا العظيم قدّس سرّه كان علينا أن نلجأ إلى من يستطيع فهمه ومعرفته والتعريف به بشكل صحيح وصائب، إلى من تربّى وعاش ونهل من معارفه ومن مدرسته الكبيرة؛ فكان قائدنا وإمامنا الخامنئيّ دام ظلّه الذي كان على اطّلاع مباشر وعلى تماس مع الإمام قدّس سرّه مدّة ثلاثين سنة... لقد عمدنا في بداية هذا العمل إلى تجميع خطابات الإمام القائد دام ظلّه في ذكرى رحيل الإمام الخميني قدّس سرّه، من يوم رحيله إلى العام ٢٠١٥م، لأنّ القائد دام ظلّه في هذه المناسبات يركّز في خطابه على مبادئ وأصول وفكر الإمام الخميني قدّس سرّه خلال مرحلة الثورة وما بعدها في إدارة الدولة الإسلامية. ثمّ قمنا أيضاً بتجميع خطابات الإمام القائد دام ظلّه والتي يتحدّث فيها عن الإمام العظيم قدّس سرّه بمناسبات مختلفة.... وبعد الانتهاء من عملية التجميع قمنا بمزج هذه الخطابات بحسب المواضيع والأفكار المتشابهة.

وتنبغي الإشارة إلى أنّ ما قمنا به من جهد ليس كلّ رأي الإمام القائد دام ظلّه في الإمام الراحل قدّس سرّه، وما ذكرناه في هذا الكتاب لا يلخّص شخصية الإمام قدّس سرّه وخطّه. كذلك تمت إضافة هوامش لإغناء الكتاب وتوضيح بعض المطالب.

وعلى الغلاف الأخير من الكتاب ورد مقتطف من كلام الإمام الخامنئي في الإمام الخميني قدّس سرّه، يقول دام ظلّه: «إنّ شخصية قائدنا وإمامنا الكبير تحتلّ موقعها - والحقّ يُقال - بعد أنبياء الله وأوليائه المعصومين، ولا يُمكن مقارنتها مع أيٍّ من الشخصيّات الأخرى. لقد كان وديعةً إلهية في أيدينا، وكان حجّةً علينا، وآيَته لنا، حتّى أنّ المرء عندما يراه يعرف عظَمة أولئك الأولياء.

إنّ هذه الشخصية الشمولية لا مثيل لها بين علمائنا الكبار، ولا بين حكّام هذا البلد، ولا بين المصلحين ودُعاة التجديد فيها.

إننا حينما ننظر إلى أنفسنا، نجد أن المسافة بيننا وبين الأنبياء وأولياء الله وعباده العظام عميقة وبعيدة المنال، إلا أن الإمام العظيم أرانا - في فترة غياب الأنبياء وانقطاع الوحي - من خلال تواجده وفكره وسلوكه نموذجاً حيّاً للولاية الروحية».

الكتاب: شهداء العلم والفضيلة في العراق

إعداد ونشر: «المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام»، طهران ١٤٢٦ للهجرة

كتاب (شهداء العلم والفضيلة في العراق) يحوى تراجم مختصرة لأكثر من ١٦٠ عالماً وحوزويّاً استُشهدوا على أيدي النظام البعثي البائد في العراق ما بين عامي ١٩٦٨م حتّى ٢٠٠٣م. وفي آخره لائحة بأسماء ٩٥ شهيداً لم يتسنّ للجهة المُعدّة أن تتوفّر على تراجم وافية لهم.

جاء في مقدّمة الكتاب: «.. بادر (المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام) إلى جمع ما أمكن من معلومات عن حياة شهداء العلم والفضيلة رعاية لحقّهم وتعظيماً لجهادهم وإيثارهم، وإيصالاً لرسالة تلك الدماء الزكية إلى الأمّة والأجيال من بَعدهم كي يتّخذوهم نبراساً حقيقيّاً ينهلُ منه أولو الألباب...

ويختصّ هذا الكتاب بتعريف الشهداء من العلماء وأساتذة الحوزة العلمية منذ ١٣٨٨ حتّى عام ١٤٢٤ للهجرة الذين استشهدوا على يد النظام البعثي في العراق، ونذكر مختصراً من نشاطاتهم طوال حياتهم، وكيفية استشهادهم، وغير ذلك ممّا وصل إلينا، وقد دُوِّنت عناوينهم بحسب التسلسل الألفبائي لألقابهم».

الكتاب: (دانشنامه امام على عليه السلام) موسوعة الإمام عليّ عليه السلام

إشراف: الشيخ علي أكبر رشاد

الناشر: «المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»، طهران ٢٠٠٠م

تتناول هذه الموسوعة القيّمة الصادرة باللّغة الفارسية عن «المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» في الجمهوريّة الإسلامية الإيرانية سيرة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من مختلف الجوانب العقائدية، والتاريخية، والسياسية، والأخلاقية، والفلسفية...

شارك في إعداد هذه الموسوعة (٦ آلاف صفحة مبوّبة موضوعيّاً في ١٢ جزءاً) أكثر من مائتي باحث من أساتذة الحوزات العلمية والجامعات، ما جعلها مرجعاً أساسياً لشريحة واسعة من الباحثين والطلاب الحوزويّين والجامعيّين.

حصدت الموسوعة ألقاباً علميّة عدّة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، منها: جائزة «أفضل كتاب إيراني»، و«كتاب الولاية السنوي».

ورد على الموقع الإلكتروني للجهة الناشرة، أنّ (موسوعة الإمام عليّ عليه السلام) تتميّز عن نظائرها بما يلي:

- تحليل وتوضيح للآراء والمدارس الفكرية التي تناولت سيرة الإمام عليّ عليه السلام.
- عرض مواضيع متنوّعة وشاملة لجوانب مختلفة من أقوال وأفعال الإمام عليه السلام.
- تَميّز مادة الموسوعة بالتجانس والتماسك.
- تجنّب التكرار وترديد المعلومات عينها، بل يجد القارئ أنّه أمام تحليلات وخلاصات جديدة.
- مراعاة الإجماع على المضمون في مواد الموسوعة.
- الاعتماد على المصادر التاريخية الموثوقة.
- استخدام النصّ العلمي، وتجنّب المبهم منه.
- إنجاز مجموعة غنيّة من الفهارس.

وقد تناولت مجلّدات الموسوعة الـ(١٢) الموضوعات التالية:

ج ١: الحكمة والمعرفة/ ج ٢: المبدأ والمعاد/ ج ٣: النبوّة والإمامة/ ج ٤: الأخلاق والسلوك/ ج ٥: الحقوق/ ج ٦: السياسة/ ج ٧: الاقتصاد/ ج ٨ و٩: التاريخ/ ج ١٠ و١١: السيرة/ ج ١٢: المصادر والكشّاف.

الكتاب: «حرب بوسائل أخرى» War by Other Means

تأليف: روبرت بلاكويل، وجينيفر هاريس

الناشر: «Harvard University Press»، ماستشوستس ٢٠١٦م

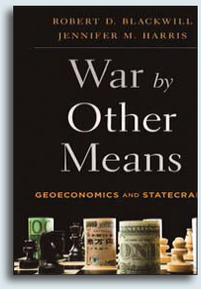

يقدّم روبرت بلاكويل، وجينيفر هاريس في هذا الكتاب نبذة تاريخية لاستغلال «الآباء المؤسّسين» للولايات المتحدة الأميركية للأدوات الاقتصادية، يعرّف المؤلفان «الجغرافيا الإقتصادية» بأنها استخدام الأدوات والآليات الاقتصادية لتحقيق مصالح الدولة القومية، علاوة على استكشاف آثار السياسات الاقتصادية للدول الأخرى على الأهداف الجيوسياسية للدولة. ووفقا لهذا التعريف، يمكن للدولة أن توظّف عدداً من الأدوات لتحقيق أهدافها، وذلك من قبيل: التبادل التجاري، والاستثمار، والعقوبات الاقتصادية، والمساعدات. وترتبط كفاءة الدولة في استخدام هذه الأدوات بعدد من المحدّدات، أهمها: مدى مركزية الدولة في النظام المالي العالمي، وهيكل السوق داخل الدولة من حيث الحجم الكلّي، ودرجة التحكّم في الاستثمارات الواردة والصادرة، وتوقّعات النموّ المستقبلي.

«نور الإسلام»

(١٩٧-١٩٨)

صدر عن «مؤسّسة الإمام الحسين عليه السّلام، الخيريّة الثّقافيّة» العدد المزدوج ١٩٧ - ١٩٨ من مجلّة نور الإسلام، في مجلّد واحد.

من أبواب الإصدار الجديد:

- **أحيوا أمرنا**: «الإسلام دين السلام» بقلم السيّد باسم صافي.
- **أخلاق**: «الكسل مفتاح كلّ شرّ» للشيخ يحيى أرسلان.
- **عقيدة**: «الأئمّة حُجج الله على الخلق» للسيّد حسين نجيب محمّد.
- **أعلام وشخصيّات**: «الشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي» بقلم باسمة شامي بزي.
- **استطلاع العدد**: «المسلمون في تشاد»، وفيه نبذة عن الموقع، والسكّان، والمناخ، وتاريخ البلد، وأهمّ المعالم السياحيّة فيه، ثمّ تاريخ وصول الإسلام، وأحوال المسلمين بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي وصولاً إلى يومنا هذا، والمؤسّسات، والجمعيّات والمدارس التّابعة لهم، كما يلقي الاستطلاع الضوء على واقع الوجود الإسلامي الشيعي في تشاد ونشاطهم في تبليغ الإسلام.

ونقرأ أيضاً في هذا الإصدار مقالات صحّية واجتماعيّة وثقافيّة متنوّعة. كما يتضمّن العدد ترجمة لبعض الأبواب إلى اللّغة الإنكليزيّة.

«دراسات استشراقية»

(٦)

صدر عن «العتبة العباسية المقدّسة» العدد الجديد من مجلة «دراسات استشراقية»، وهي فصليّة محكّمة تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً.

في هذا العدد مجموعة من الأبحاث والمقالات تتّصل بموضوع الاستشراق، وأثره على الجوانب المختلفة في المجتمع العربي والإسلامي.

وفي ما يلي بعض المقالات الواردة:

- «محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين» للباحث العراقي عادل عباس النصراوي.
- «ردّ شبهات يوسف الحداد في كتابه (القرآن دعوة نصرانية)»، كتب المقالة كلٌّ من محمد جواد اسكندري، وأحمد سالم عتابي.
- «الإسلام في الدراسات الغربية المُنصِفة» بقلم حفيظ السليماني.
- «عصر صدر الإسلام برؤية ماكس فيبر» للباحث الإيراني علي رضا شجاعي زند.
- «الاستشراق ومملكة التطرّف» بقلم محمّد سعدون المطوري.
- «حركة الاستشراق الروسي والثقافة العربية» بقلم خالد البيوتي.

«الاستغراب»

(٤)

صدر حديثاً «عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية» العدد الرابع من «الاستغراب»، وهي فصلية فكرية تُعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفياً ونقدياً.

خُصِّص العدد الجديد من هذه الفصلية لمقاربة مشكلة الأخلاق والقِيَم في الحضارة الغربية منذ فجر الحداثة وإلى يومنا هذا. وقد تضمّن العدد أبحاثاً لمفكّرين وفلاسفة من الغرب، وكذلك من العالمين العربي والإسلامي.

من موضوعات العدد الجديد نقرأ: الافتتاحية بقلم مدير التحرير المركزي محمود حيدر بعنوان: «الأخلاق في معزلها»، وفيها يناقش المآلات التي وصلت اليها الأخلاق في المجتمعات الغربية بسبب سيطرة العقل التقني.

وفي الملف نقرأ:

- «ديريدا ومُعضلة الأخلاق» للباحث الياباني شيه جن فوه.
- «قِيَم الحداثة» للباحث الإيراني محمد رضا قراملكي.
- «تدبير العلم والأخلاق» بقلم خليل أحمد خليل.
- «نحو نظرية كونية للقيم» لأحمد عبد الحليم عطيه.

كما ضم العدد مقابلات وندوات ومقابلات حول المفاهيم الأخلاقية.

نُودي فيكم بالرّحيل

أيّها العزيز، إنّ أمامك رحلةً خَطِرةً لا مناصَ لك منها، وإنّ ما يَلزمها من عُدّة وعدد وزاد وراحلة هو العلم والعمل الصالح. وهي رحلة ليس لها موعدٌ معيّن، فقد يكون الوقتُ ضيّقاً جدّاً، فتفوتُك الفرصة. إنّ الإنسان لا يعلمُ متى يُؤذَن بالرّحيل للانطلاق فوراً. «..»

اعلم أنّ الرحلة كثيرةُ المخاطر، وإنّما هذا النسيان الموجود فينا ليس إلّا من مكائد النفس والشيطان، وما هذه الآمال الطِّوال إلّا من أحابيل إبليس ومكائده. فتيقّظ أيها النائمُ من هذا السُّبات وتنبّه، واعلم أنك مسافرٌ ولك مقصد، وهو عالَمٌ آخر، وأنك راحلٌ عن هذه الدنيا، شئتَ أم أبيت. فإذا تهيّأتَ للرحيل بالزاد والراحلة لم يُصِبكَ شيءٌ من عناء السفر، ولا تُصابُ بالتعاسة في طريقه، وإلّا أصبحتَ فقيراً مسكيناً سائراً نحو شقاءٍ لا سعادةَ فيه، وذِلّةٍ لا عزّةَ فيها، وفقرٍ لا غِنى معه، وعذابٍ لا راحةَ منه. إنّها النارُ التي لا تنطفئ، والضّغطُ الذي لا يُخَفَّف، والحزنُ الذي لا يَتبعُه سرور، والندامةُ التي لا تنتهي أبداً.

أنظر أيّها الأخ إلى ما يقوله الإمام في (دعاء كميل) وهو يناجي الحقّ عزَّ وجلَّ: «**وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلاَءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا**»، إلى أن يقول: «**وَهذَا مَا لا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**». تُرى ما هذا العذاب الذي لا تُطيقه السماوات والأرض، والذي قد أُعدّ لك؟

أفلا تستيقظ وتنتبه، بل تزدادُ كلّ يومٍ استغراقاً في النوم والغفلة؟

فيا أيّها القلب الغافل! انهضْ من نومك وأَعِدَّ عُدّتَك للسّفر، «**فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ**»، وعمّال عزرائيل منهمكون في العمل، ويُمكن – في أيّة لحظة – أن يسوقوك سوقاً إلى العالَم الآخر. ولا تزال غارقاً في الجهل والغفلة؟

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّجَافِيَ عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وَالإِنَابَةَ إِلَى دارِ السُّرُورِ، والاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْفَوْتِ**».